العربية وواضعها

«نظرية جديدة»

محمد حسين الأنصاري

هوية الكتاب

اسم الكتاب:	العربية وواضعها «نظرية جديدة»
المؤلف:	الشيخ محمد حسين الأنصاري
الناشر:	
الطبعة:	الأولى ١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦م
المطبعة:	
الكمية:	١٥٠٠ نسخة
تنضيد الحروف والإخراج الفني:	أمجد الأنصاري

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولمكتبة النجاح في طهران

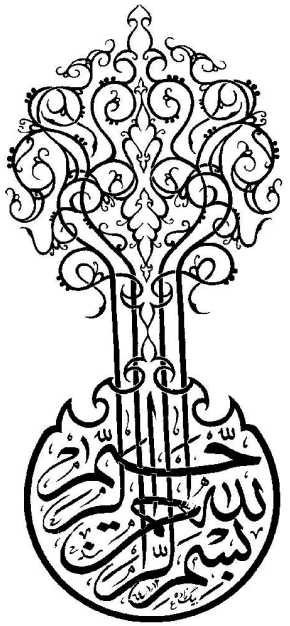
بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم:

سماحة البحاثة الإسلامي العلاّمة
الحجّة السيد علي الشهرستاني

بسم الله الرحمن الرحيم

اللغة جسر يربط الإنسان ببني نوعه، وهو المعبّر عن ثقافته ومعلوماته، وهنا تساؤل يطرح نفسه: من هو واضع هذه اللغة أو تلك.

وكيف اصطلحوا على الفاظها؟!

وهل اللغة من وضع البشر أم هي وحي وتوقيف من قبل رب العالمين؟

هناك مذاهب متعدّدة في هذا المجال، حيث ذهب ديو دورس وشيشرون من اليونان وأبو علي الفارسي وتلميذه ابن جني وطائفة من المعتزله الى أنّه تواضع واصطلاح من قبل الناس، لا وحي ولا توقيف في ذلك.

وقال آخرون كإفلاطون من القدماء وابن فارس والأشعري من علماء العرب وبعض المحققين من الاصوليين عند الشيعة الامامية

ـ كالشيخ النائيني ـ إلى أنّ الواضع هو الله سبحانه لكن لا بطريق إرسال الرسل وإنزال الكتب كما هو الحال في إيصال الأحكام الشرعية إلى العباد، ولا بطريق جعل الأمور التكوينية التى جُبِلَ الانسان على إدراكها، بل بطريق الالهام إلى كل عنصر من عناصر البشر حسب استعداده.

واستدلّ المذهب الوضعي على ما يقوله في المواضعة على الألفاظ بما أودعه الله سبحانه من قابلية في البشر، وهو المشاهد عند الأطفال عند وضعهم لمصطلحات خاصّة بهم عند اللعب واللهو، لكن بفارق بين الإلهيّين[1] والوضعيين فيما قرّبوه واستدلّوا به.

أما الذي ذهب الى القول بالتوقيف فقد استدلّ بقوله تعالى: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا**﴾[2] إذ الأسماء كلها معلّمة من عند الله بالنص، وكذا الأفعال والحروف، وأيضاً قوله تعالى: ﴿**إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا**﴾[3] ومعنى الآية أنّه تعالى ذمَّ قوماً سمّوا أسماء غير توقيفية، وهو يقتضي كون بواقي الأسماء توقيفية.

---

(١) انظر كلام السيد الخوئي في فوائد الأُصول١: ٣٠ واجود التقريرات ١ : ١٧ ـ ١٩ ومصباح الاصول ١ : ٤٣ – ٤٥ .

(٢) البقرة: ٣١.

(٣) النجم: ٢٣ .

و كذلك قوله: ﴿**وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ**﴾[١] ومعناه أنّ الله شرع اختلاف الالسنة واللغات، إلى غيرها من الأدلّة.

وقد حاول أخونا العزيز صاحب الفضيلة والمكارم والأخلاق النبيلة العلامة الحجة الشيخ محمّد حسين الأنصاري ـ دامت إفاضاته ـ التفريق بين اللغة العربية وباقي اللغات والقول بأنّ اللغة العربية هي من وضع الله تبارك وتعالى وباقي اللغات من وضع البشر؛ إذ أنّ القرآن هو كلام الله حقيقةً، وقد نزل بالعربية بألفاظه ومعانيه؛ لقوله: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**﴾[٢] فلو كانت العربية من وضع البشر لتوقَّفت المعجزة، إذ المعاجز تنسب إليه بالاصالة لا بالتبع، إلى غيرها من الأدلة والشواهد التي ذكرها كاتب الرسالة حفظه الله تعالى.

وهنا يأتي سؤال آخر: لماذا شرفت اللغة العربية دون غيرها من سائر اللغات؟ هل لشرفها الذاتي، أم لكونها كلام الله حقيقة الذي نزل به القرآن؟

فإن كان الأول فهو ترجيح بلا مرجّح، وإن كان شرفها لما تحمله من وحيانية ولتكلم الله مع مخلوقاته بها، فهو امتياز وشرف خاص لهذه اللغة.

---

(١) الروم: ٢٢.

(٢) الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥.

وقد سعى الشيخ المؤلف التأكيد على الجانب الثاني ودعم كلامه بآيات قرآنية وأحاديث عن المعصومين عليهم السلام، تدلّ على أنّ الكلام العربي هو كلام الله الذي كان مدّوناً ﴿**فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ * مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ**﴾[١].

الأمر الذي يوكّد بأنّ السفراء من الملائكة الكرام البررة المشهود لهم بالطهارة والنزاهه هم الذين كتبوا هذا السفر الوحياني.

ثم تساءل المؤلّف: هل الملائكة كانوا يكتبون كلامه تعالى بشكل مباشر عنه أم بما أملاه الوحي الإلهي عليهم؟ وإذا كان الأخير الصحيح فلم تكن اللغة من صنع البشر يقيناً.

وخصوصاً لو أُضيف إليه ما جاء عن الرسول الأمين[٢] وأولاده المعصومين سلام الله عليهم اجمعين «بأنّ الله ما أنزل كتاباً ولا وحياً إلا بالعربية ثم يبلغ ذلك النبي لقومه بلسانهم»[٣].

نعم، هناك عشرات الأدلّة توكد على وجود اللغة العربية باختلاف لهجاتها قبل نزول القرآن، وقد تكلّم بها الأنبياء كآدم وإسماعيل تلقّياً عن الله باعتبارهما من الأنبياء، وقيل انّ آدم لمّا

---

(١) عبس: ١٣ – ١٦.

(٢) الطبراني في الاوسط ٥: ٤٧، وعنه المقدسي في مسبوك الذهب: ٢٠.

(٣) علل الشرائع ١: ١٢٦، عن الإمام الباقر عليه السلام و عنه في بحار الأنوار ١٦: ١٣٤ باب اسمائه صلى الله عليه وآله ج ٧٣ و ج ١٨: ٢٦٣ باب في كيفية صدور الوحي ج ١٩.

عصى الله سلبت منه العربية وتكلّم بالسريانية، وهو مؤشر على وضع اللغة العربية على نحوين: فما تكلم بها الله مع أنبيائه فهي عربيّة الوحي، وما اصطلح عليه العرب وتواطَؤُوا عليه فهي عربية المصطلح، ومن الطبيعي في هذا المجال وطبق هذا البيان أن تكون عربية الوحي توقيفية من قبل رب العالمين، وأمّا عربية الاصطلاح فهي تعاقد وتواطؤٌ من قبل الناس.

ولأجل هذا يطرح هنا سؤال خلاصته: هل في كلام الله ورسوله غريب، أم انّ جميع ما نزل من عند رب العالمين وقال به رسوله الأمين هو عربي مبين؟

من الثابت المشهور أنّ العلماء اختلفوا في ذلك على قولين:

أحدهما: قال بوجود العجمة في الكتاب العزيز؛ معلّلاً بأن هذا ليس بدعاً في سنن الحياة والقوانين الاجتماعية، حيث إنّ لغة العرب أثّرت في اللغات الأُخر وتأثّرت بها، مستدلّين بوجود كلمات فارسية ورومية وسريانية وحتى تركية في الكتاب العزيز مثل: الاستبرق، والسندس، والفردوس ومايماثلها.

وثانيهما: رفض رفضاً قاطعاً وجود ألفاظ غير عربية في القرآن، ومن الّذين انتصروا لهذا القول ابن عبيد، حيث شدّد النكير على من زعم أنّ في القرآن شيئاً من غير العربيه، وأعظَمَ القولَ مستدلاً لعربية القرآن المحضة بقوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا**

عَرَبِيًّا﴾[١] [٢].

ونفس هذا الكلام ينجرّ في كلام المعصومعليه السلام فهل هو من عند الله تبارك وتعالى، أم هو حصيلة ثقافته ولغة قومه ولا علاقة له بالوحي.

قال أبو حيان الأندلسي (المتوفى ٧٤٥ هـ): نعم قطعاً من غير شك إنّ رسول الله كان أفصح العرب فلم يكن يتكلّم إلاّ بأفصح اللغات وأحسن التراكيب وأشهرها وأجزلها، وإذا تكلّم بلغة غير لغته فإنّما يتكلّم بذلك مع أهل تلك اللغة على طريق الإعجاز وتعليم الله ذلك له من غير معلّم.

وذلك نفسه ما جعل الرافعي يذهب مذهب التوقيف في أمر لغة الرسول ـ كما ذهب إلى ذلك الشافعي وابن فارس وأئمة العرب لغويين ومفسرين ومحدّثين وفقهاء فقال: ولانعلم أنّ هذه الفصاحة قد كانت لهصلى الله عليه وآله إلاّ توقيفاً من الله وتوفيقاً[٣].

وقد حُكيَ عن الإمام عليعليه السلام قوله: ما سمعت كلمة عربية من العرب إلاّ وقد سمعتها من النبي، وسمعته يقول: مات حتف أنفه وما سمعتها من عربيّ قبله[٤].

---

(١) يوسف: ٢.

(٢) وقد تعرّض المؤلف لهذا الإشكال وأجاب عنه بناءاً على هذه النظرية ص٨٣.

(٣) انظر تاريخ آدب العرب ٢: ٢٩٨ والمزهر ١: ٣٥.

(٤) المزهر ١: ٣٠٢ وانظر المجتبى لابن دريد: ١٦ – ١٧.

وقال أحد العلماء في حديث «ترك العشاء مهرمة»: هذه الكلمة جارية على ألسنة الناس ولا أدري أرسول الله ابتدأها أم كانت تقال قبله[١]. ومثل ذلك الكثير من الكلمات العربية التي يعرفها رسول الله ولايعرفها الآخرون.

وبعد كلّ هذا يمكن القول بأنّ اللغة العربية وضعت على طريقتين: إحداهما وحيانية وتوقيفية، وهي التي تكلّم الله بها مع خلقه، وهو ما أكّد عليه الإمام الصادق عليه السلام بقوله: تعلّموا العربية فإنّها كلام الله الذي يكلّم به خلقه، ولأنّها لغة أهل الجنة.

والثانية هي اللغة التي تواطأ العرب على استعمالها طبقاً لما أودعه الله في طباعهم، وقد كانت مستعملة عندهم قبل نزول القرآن، وبالعربية يمكن تكلّم العبد مع ربّه وعبر سُلّمه يمكنه أن يرتقي شيئاً فشيئاً لقوله صلى الله عليه وآله: اقرأ وارقى.

وخلاصة الكلام هو أنّ ما قدّمه شيخنا الفاضل يستحق الوقوف عنده والتأمّل فيه، حيث إنّه جدّ وسعى لأعطاء فكرة جديدة عن نشأة اللغة العربية.

وعمله لم يكن من الترف العلمي الذي لاجدوى له في الحياة العلمية، بل هو بحث يتناول جانبا مهمّاً طال حوله النزاع وكثر،

(١) النهاية ٤: ٢٦٣.

وأدلى فيه كل من الأدباء والأصوليين والفقهاء دلوه، وبالتالي فهو يكشف جوانب مهمّة من أسرار كمال اللغة العربية وشرافتها وسعة مفرداتها وخصوصاً ما جاء في الكلام الوحياني.

هذا وكلّي أَمَلٌ أن يأخذ شيخنا المؤلف وباقي أساتذة اللغة بهذا التقسيم الوحياني وغيره، وأن يجعلوه نصب أعينهم وقيد بحوثهم أكثر فأكثر تطويراً للأفكار.

وفي الختام أشدّ على يد شيخنا المؤلّف داعياً المولى أن يوفّقه للمزيد من العطاء لرفد المكتبة الإسلامية، إنّه سميع الدعاء قريب مجيب.

علي الشهرستاني

في السادس من شهر رجب الأصب

لسنة ١٤٢٧. *وبجوار مشهد الإمام الرضا* عليه السلام

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

اللّهمَّ صلّ على محمّدٍ وآل محمد

كنتُ منذ نعومة أظفاري أُحبّ أن أدخل عالم اللّغة العربية وأجواءها فكانت تأخذني إليها أمواجُ أشواقٍ وتمنعني عنها ستائرُ خوفٍ من ضخامتها وعنفوانها وكبريائها، ومع هذا كلّه أخذتُ أدخل إلى عالمها بدونِ توجهٍ خاصٍ شديد منّي وإذا أنا في عبابها أبحر، وعلى ضفافها أرتع، ومن ثمارها اقطف فألتذ بين تشجيعٍ من أبي ودفعٍ من أخي وابتسامةٍ مع كلمة طيبةٍ عن أستاذٍ في مادتها أو شيخٍ كبيرٍ درس مبادئها.

ثمّ شيئاً فشيئاً توجّه نظري إلى عجيب أمرها، وتشابهها حتّى مع بعض مفردات الفقه التي تعلّمناها في دراستنا الحوزويّة بعد عمرٍ قضيناهُ في بحور الشعر وعمقه وفضاء الأدب وسعته.

ومن هنا نشأ حسّ يدفعني للإطلاع على سرّها، ومعرفة من أين لها هذا العمقُ الّذي يعجز مجاميع الناس للوصول إليه فضلاً عن

آحاد الأفراد؟!

فتفكرتُ وتفكّرت إلى أن تجمّعت لَديّ بعد أن أشارت إليّ بإصبع ساحرٍ بعضُ إشارات وعلامات على أنّها من وحيّ الله سبحانه وليست من وضع بشر أبداً.

فاعترضني أنّ العربّ تضع الكلماتِ للمعاني كما أن الأقوام الآخرين تفعل ذلك.

فما الفرق إذاً؟!

وتأملتُ أكثر إلى أن تجمّع لديّ من الأدلة ما يكفي لطرحه كنظرية جديدةٍ مفادها أن وضع هذه اللّغة بالذات واعني بها لغة القرآن الكريم من قِبَلِ الباري عزّ وجلّ.

ولتضع العربُ الكلمات للمعاني ولا عيب في ذلك على ذلك المنوال ولذا أصبحت للّغةِ العربية لغاتٌ عدّة فهذه لغة حمير وهذهِ لغة قريش... الخ.

وَقَدْ ظهرت العربية بثوبها القشيب ومعدنها الأصيل في القرآن الكريم ذلك الكتاب المنّزل من قبل الله تعالى بأروع ما تكون لغةٌ من اللّغات، وبهذا شُرِّفتْ.

وهذهِ بين يديك أيُّها القارئ الكريم أدلّتي حسب قصور فهمي وإدراك عقلي عسى أنْ تجدَ في ذهنك مجالاً وفي عقلكَ استيعاباً وقبولاً، ومن قلبك فرحاً وسروراً.

وبعد أن تَمّتْ هذهِ الرسالة حجبتها سنين عدّة خوفاً من عدم

اكـتمال الدلـيل، وعدم نضوج الفكرة، ولكننّا نحن أبناء دليل وعلم، فـبعد السـنين العجـاف الـتّي مـررنا بهـا جمـيعاً انفتح باب للوصل والوصـول مـن خلالـه اسـتطعتُ أن أرسلها إلى أستاذي الكريم في الحـوزة العلمـية في الحاضـرة الأولى للعـلم والمعـرفة مدينة النجف الأشـرف عـلى مشرّفها آلاف التحية والسلام المحقّق آية الله العظمى الشـيخ بشـير الـنجفي أدام الله عطاءه وخيره، فتفضّل عليّ بقرائتها والتعليق عليها وأصحبها ببعض الإشكالات، فأجبتُه عنها.

ولذا قُسِّمَ البحث إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الرسالة.

القسم الثاني: إشكالات الشيخ الأُستاذ.

القسم الثالث: ردّ الإشكالات.

كمـا تفضّـل عليـنا سماحة الكاتب الإسلامي والبحاثة المتتبع العلاّمـة الحجّـة الحـاج السـيد عـلي الشهرسـتاني بـتقديم الكتاب مشكوراً، راجياً بذلك كلّه رضا الباري عزّ وجل، والعذرعن كلِّ سهوٍ وخطأ غير متعمّد والله المسدّد وهو وليُّ التوفيق.

محمد حسين الأنصاري

القسم الأول:

الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللّهمَّ صلّ على محمّدٍ وآل محمد

أستغفر الله ربي وأتوب إليه

واختلفوا كثيرا في واضع اللغات ككل وفي واضع اللغة العربية بالخصوص فقالوا والأقوال كثر، إلاّ أننا لا ننقل إلا ما يهمنا من أطراف الحديث حول اللغة العربية:

إذ قال قائل (ففهّم الله العربية عادا وعبيل وثمود وحديس وعمليق و طسم واميم وبني يقطن بن عابر).[١]

وفي نفس الصفحة قال :

(ويقال عمليق أول من تكلم بالعربية.).[٢]

أما تاريخ الخميس فقد قال : (وأما ولد ارم بن سام بن نوح فإنهم احتقروا الناس بما انعم الله عليهم من القوة والبطش واللسان العربي.).

وقال بعدها (وقد فهّم الله العربية لعمليق وطسم وعاد وعبيل وثمود وجديس.)[٣]

(١) (٢): ابن سعد / الطبقات الكبرى / ١٧ .

(٣): تاريخ الخميس/

والسيوطي بعد أن يذكر أسماء القبائل العربية الأولى يقول: (ومنهم تعلّم إسماعيل العربية)[١]

(وقال ابن دريد في الجمهرة العرب العاربة سبع قبائل ـ وعدّدها ـ وقال : وسمي يعرب بن قحطان لأنه أول من انعدل لسانه من السريانية إلى العربية، وهذا معنى قول الجوهري في الصحاح أول من تكلم بالعربية يعرب بن قحطان.)[٢]، وهذا قريب لما اخرجه ابن عساكر في التاريخ بسند رواه عن انس بن مالك موقوفا[٣].

(وقال صاحب تاريخ الملوك التابعة و ملوك حمير: ان هودا عليه السلام بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح هو أبو العرب العاربة، وان ابنه قحطان هو ولي عهده قد لزم طريقته واقتدى به، وان يعرب بن قحطان بن هود هو أول من ألهمه الله تعالى العربية المحضة، وقال فابلغ واختصر فأوجز، واشتق اسم العربية من اسمه.)[٤]

وقال قائل آخر (أوّل من وضع الخط العربي والسرياني وسائر الكتب آدم صلى الله عليه وسلم قبل ثلاثمائة سنة من موته كتبها في الطين) [٥].

(١) (٣) : السيوطي/ المزهر/ ١٥ .

(٣): انظر المزهر / ١٥ .

(٤): المقدسي / مسبوك الذهب / ٢ .

(٥): ابن عبد ربه/ العقد الفريد / ٩٣٨ .

(واعـلم أن العرب موجودة من قبل إسماعيل بن إبراهيم ،فان الله تعـالى قـد بعث إليهم قبل إسماعيل هوداً وصالحاً عليهما السلام، وما قيل مـن أن إسماعـيل أبـو العـرب فلعـلّ المراد اشرف العرب، أو غالب العرب)[١].

(ثم رأيـنا في حديث التّرمذي، وحسّنه عن النبي قال سام أبو العـرب، وحـام أبو الحبش ويافث أبو الروم، ورأيت صاحب تاريخ الخمـيس ذكـر مـا حاصله إن أبناء نوح ثلاثة سام وهو أبو العرب وفارس والروم..)[٢].

(واخـرج ابن عساكر في التاريخ عن ابن عباس إن آدم عليه السلام كـان لغـته في الجـنة العربـية فـلمّا عصى سـلب الله العربـية فتكلم بالسـريانية فـلما تاب ردّ الله عليه العربية، قال عبد الملك بن حبيب كان اللسان الأول الذي نزل به آدم من الجنة عربياً)[٣].

والظاهر إنهم (اختلفوا في لغة العرب فمنهم من قال هي أول اللغـات ، وكـل لغـة سـواها حدثت بعدها إما توقيفيا أو اصطلاحا واسـتدلوا بـان القـرآن كـلام الله وهو عربي وهو دليل على أن لغة العرب اسبق اللغات وجودا.).[٤]

(١) (٣) : المقدسي / مسبوك الذهب / ٢٠ .
(٣) : السيوطي /المزهر /١٤.
(٤) : نفس المصدر السابق .

وقد قالوا إن اللغة العربية لغتان : (أحدهما: عربية حمير وهي التي تكلموا بها من عهد هود ومن قبله وبقي بعضها إلى وقتنا.

الثانية: العربية المحضة التي نزل بها القرآن وأول من نطق لسانه بها إسماعيل.

فعلى هذا القول يكون توقيف إسماعيل على العربية المحضة يحتمل أمرين: إما أن يكون اصطلاحا بينه وبين جرهم النازلين عليه بمكة.

وإما أن يكون توقيفيا من الله تعالى وهو الصواب.)[١].

(وقال محمد بن سلام الجمحي في كتاب طبقات الشعراء: قال يونس بن حبيب أول من تكلم بالعربية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. ثم قال محمد بن سلام اخبرني مسمع بن عبد الملك انه سمع محمد بن علي عليهما السلام يقول قال ابن سلام لا ادري رفعه أم لا وأظنه قد رفعه أول من تكلم بالعربية ونسي لسان أبيه إسماعيل عليه السلام)[٢].

(واخرج الحاكم في المستدرك وصححه البيهقي في شعب الإيمان من طريق سفيان الثوري عن جعفر بن محمد عليهما السلام عن أبيه عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم تلا ﴿**قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾، ثم قال: الهم إسماعيل هذا اللسان العربي إلهاما.)[٣]

(١) : السيوطي / المزهر.
(٢) : نفس المصدر /١٥
(٣) : المصدر نفسه /١٦

وأضاف (قال محمد بن سلام واخبرني يونس عن أبي عمرو بن العلاء قال العرب كلها ولد إسماعيل إلاّ حمير و بقايا جرهم.

وكذلك يروى إن إسماعيل جاورهم واصهر إليهم ولكن التي عنى محمد بن علي عليهما السلام اللسان الذي نزل به القرآن وما تكلمت به العرب على عهد النبي وتلك عربية أخرى غير كلامنا هذا.)[١]

(وقال الشيرازي في كتاب الألقاب اخبرنا احمد بن سعيد أنبانا محمد بن احمد بن اسحق الماسي حدثنا محمد بن جابر حدثنا أبو يوسف يعقوب بن السكيت قال حدثني الاثرم عن أبي عبيدة حدثنا مسمع بن عبد الملك عن محمد بن علي بن الحسين عن آبائه عن النبي صلى الله عليه (واله) وسلم: أول من فتق لسانه بالعربية المتينة إسماعيل عليه السلام وهو ابن أربع عشرة سنة فقال له يونس: صدقت يا أبا سيار هكذا حدثني به أبو جزيّ هذه طريقة موصولة للحديث السابق من طريق الجمحي.) [٢] " [٣].

(وعن ابن عباس إن أول من وضع الكتابة العربية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وكان أول من نطق بها فوضعت على لفظه ومنطقة)[٤].

(٢) : المصدر نفسه /١٦

(٣) : راجع كذلك في كل هذا البيان والتبيين للجاحظ الصفحة (٤٦٤) تحت عنوان القول في إنطاق الله عزّ وجلّ إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام بالعربية المبينة على غير التلقين والتمرين...)

(٤) : العقد الفريد /٩٣٨

وقال اليعقوبي في تاريخه (ذكرت الرواة والعلماء إن إسماعيل أول من شق الله فاه باللّسان العربي.) [١]

وحتى علماء اللغة العربية مالوا الى هذا ففي أحد الموارد يقول ابن سيده (وجميع ما ذكرنا مفتوح في لغة أهل الحجاز وهو الأصل لان العربية أصلها إسماعيل عليه السلام.) [٢]

مضافا إلى هذا فقد ورد نبوي فيما ورد (إنّ لغة إسماعيل كانت قد درست فأتاني بها جبريل فحفظتها.)[٣] و(جاءني جبريل فلقّنني لغة أبي إسماعيل.) [٤]

من هذا كله يظهر لنا انهّم قد اختلفوا اختلافا بيّنا في أول من تكلم اللغة العربية هذا أولا، وثانيا انهم لم يقيموا ولا دليلا واحدا يمكن الاعتماد عليه من الجهة العلمية سوى أخبار نقلت، وكل خبر منها بل كلها لو اجتمعت لما أفادت إلا ظنا، والظن كما نعلم لا يفيدنا في المطالب العلمية شيئا، إذ الخبر يقبل الصدق والكذب. نعم قد يشم الدليل في قول من قال بان القرآن كلام الله وهو عربي إلاّ إننا نرى فيه أولا إن من قال ذلك قد ساقه كدليل على أن لغة العرب اسبق اللغات وجودا، لأنه قد ساقه تحت قوله اختلفوا في لغة

(١) : الصفحة ١٥٩

(٢) : المخصص/ ٣١١٠

(٣) (٢) : تخريج الحديث الشريف النبوي الشريف / الشيخ ناصر الدين الألباني .

العرب فمنهم من قال هي أول اللغات، كما إن ختام الكلام كان (وهو دليل على أن لغة العرب اسبق اللغات وجودا..) لا على أن اللغة العربية ليست من وضع الإنسان، فتفطن.

ولعلّه لانّ المتسالم يومئذ لديهم من أن كلّ اللغات هي من وضع الله تعالى، هذا كله أولاً، وثانيا انه لم يؤيد هذه الدعوى بأي دليل آخر فضلا عن المناقشة بصلاحية ذلك كدليل وحده.

وبهذا نطوي هذه المقدمة.

مَن الواضع للّغة؟

قال الشيخ المظفر رحمه الله (قيل إن الواضع لابد أن يكون شخصا واحدا يتبعه جماعة من البشر في التفاهم بتلك اللغة ، وقيل :وهو الأقرب إلى الصواب إن الطبيعة البشرية حسب القوة المودعة من قبل الله تعالى فيها تقتضي إفادة مقاصد الإنسان بالألفاظ فيخترع من عند نفسه لفظا مخصوصا عند إرادة معنى مخصوص، كما هو المشاهد عند الصبيان عند أول أمرهم فيتفاهم مع الآخرين الذين يتصلون به، والآخرون كذلك يخترعون من أنفسهم ألفاظا لمقاصدهم وتتألف على مرور الزمن من مجموع ذلك طائفة صغيرة من الألفاظ، حتى تكون لغة خاصة، لها قواعدها يتفاهم بها قوم من البشر.)[1]

هذا الذي ذكره الشيخ لا لبس فيه، وقد أجاد فيما أفاد وهو ما عليه كثير من العلماء[2]، إلا إننا لو تتبعنا ما سنورده ربما سيتغير هذا الشمول لكل اللّغات:

---

(١) : أصول المظفر الجزء الأول /

(٢) : راجع تقريرات الأعلام السيد الخوئي وتلامذته، السيد الخميني وتقريرات درسه، الحاج آقا حسين البروجردي، الشهيد الصدر وتلامذته، الشيخ جواد التبريزي وغيرها.

أولاً: إن هذا الكلام الذي بين الدفتين لكتاب الله المجيد هل يصح أن يطلق عليه انه كلام الله تعالى؟

فإذا صحّ وهو يصح، وإذا صح فهو يصح على الحقيقة دون المجاز وذلك لان التّبادر علامة الحقيقة، والمتبادر هو ذلك، كما إن عدم صحة السلب من علامة الحقيقة كذلك ولا يصح سلب ذلك منه، فإذا كان كذلك فلا يحوي الكتاب إلا الكلام العربي فإذاً هو كلام الله، وإذا كان كلاما لله فكيف يكون من وضع البشر؟[١]

وإذا أراد أحدهم أن يخدش بهذا بقولـه إن هناك مغالطة في هذا القياس المنطقي فهو باطل وذلك لعدم تكرر الحد الأوسط نفسه، ففيه محل نظر، والدليل الثاني الذي سيأتي يوضح الأمر ويثبته بصورة أجلى.

ثانياً[٢]: قال تعالى: **﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾**[٣].

(والضمير في (نزل به) للقران بما انه كلام مؤلف من ألفاظ لها معانيها الحقّة. فان ألفاظ القرآن نازلة من عنده تعالى، كما أن معانيها

(١) موضـع الاشـكال الأول لسـماحة الشـيخ الاسـتاذ أدام الله بقائه، يأتي في القسم الـثاني، ويـأتي بعد ذلك الجواب عنه في القسم الثالث من الكتاب، وهكذا سيورد بقيّة الإشكال والأجوبة عنها.

(٢) موضع الاشكال الثاني.

(٣) : الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥

نازلة من عنده على ما هو ظاهر قوله **﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾**[١].

وقولـه: **﴿تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾**[٢]، وقولـه: **﴿تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾**[٣]، وقولـه: **﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾**[٤]

فلا يعبأ بقول من قال (إن الذي نزل به الرّوح الأمين إنما هو معاني القرآن الكريم،ثم النبي ﷺ كان يعبرّ عنها بما يطابقها ويحكيها من الألفاظ بلسان عربي)[٥].

فتنزيل القرآن باللسان العربي كان من الله، فهل يعقل كذلك أن يكون مادة ما ينزل من الله من توليد البشر؟

ولو كان بعض ذلك لاحتاج الباري لمخلوقاته وهو كما ترى.

ثالثاً[٦]: كما انه لو كان من وضع البشر لتوقفت المعجزة [لأنه المعجزة الخالدة للنبي الكريم محمد ﷺ] على ما يصنعه البشر، وهو كسابقه في الركّة.

(١) : القيامة ١٨

(٢) : البقرة: ٢٥٢.

(٣) : آل عمران: ١٠٨.

(٤) : الجاثية ٦.

(٥) : على ما نقله عنهم السيد محمد حسين الطباطبائي/ الميزان/ في تفسير هذه الآية المباركة.

(٦) موضع الاشكال الثالث.

ولقد استقصينا كل المعاجز الإلهية التي بين أيدينا المشار إليها في القرآن الكريم أو التي نعرفها فرأيناها كلها لا تتوقف على غير خلق الله المنسوب إليه بالإصالة[١].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢].

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[٣].

والنار كما هو معلوم من خلق الله **﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ﴾**[٤]

وهذه آية موسى اليد البيضاء كذلك **﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾**[٥] وكذلك عصاه فالعصا تعود إلى الزرع. **﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾**[٦]، فيد عيسى بل خلقه كذلك **﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى**

(١) موضع الاشكال الرابع.

(٢) البقرة: ٢٦٠.

(٣) الأنبياء: ٦٩.

(٤) : الواقعة: ٧١ـ٧٢.

(٥) : القصص: ٣٢.

(٦) : الواقعة : ٦٣ـ٦٤.

عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[١] مرورا بناقة صالح، إلى ما منحه الله لداود **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾**[٢]، إلى ما مُنح سُليمان **﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾**[٣]، وكذلك بقية معآجز بقية الأنبياء وحتى نبينا الكريم صلى الله عليه واله وعليهم أجمعين من شق القمر **﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ...﴾**[٤]، إلى تسبيح الحصى ونبوع الماء من أصابعه الشريفة.

ولعلّ الآية المباركة **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ...﴾**[٥] تشعر بان الآيات الإلهية مرتبطة بالخلق الإلهي المباشر فتدبر.

رابعاً[٦]: قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾**[٧].

(١) : آل عمران: ٥٩.

(٢) : سبأ: ١٠.

(٣) : سبأ: ١٢.

(٤) : العكنبوت: ٦١.

(٥) : فصلت: ٥٣.

(٦) موضع الاشكال الخامس.

(٧) : النحل: ١٠٣.

فلاحظ الدعوى التي ذكرها الله تعالى لهم أن هناك من يعلمه القرآن وهو من البشر، فهنا دعويان رد الأولى منهما بكون الذي يقولون بأنه يعلمه أعجميا وهذه اللغة تختلف عن لغته جذريا، وبقيت الدعوى الثانية وهي كون الذي يعلمه من البشر على حالها فتفطن، و بماذا ردّها؟

الواقع إنّه ردّها ببيان مقتضب لطيف وهو إن هذا اللسان لم يكن لسانا بشريا أبدا بل هو لسان عربي مبين فتدبّر.

خامساً[1]: قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا * وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ...**﴾[2].

إذاً مسالة الإيحاء مسالة مشتركة بين الأنبياء قاطبة وبكيفية واحدة كما هو ظاهر هذه الآية المباركة وكما سيأتي مزيد بيان.

فإذا كان حرف الحاء مثلاً، وحرف العين، وحرف القاف صعب النطق على غير العرب، وإذا لم يكن كل واحد منها بهذا الوضوح فاجتماع هذه الأحرف يكون مظنة لذلك أكثر، كما هو مقبول لدى الكل ، فحينئذٍ إذا قال الباري عزّ وجلّ: ﴿**حم * عسق**

(١) موضع الاشكال السادس.

(٢) : النساء: ١٦٣ – ١٩٤.

*** كَذَلِكَ**﴾ ولاحظوا هذه ال (كذلك)، ﴿**حم * عسق * كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[1].

فإذاً هذه الأحرف التي ابتدأت بها هذه السورة المباركة على ما هو الظاهر (هي نفسها أو مثيلاتها ـ الله اعلم بحقائق الأمور ـ) بالكيفية التي نوحيها إليك قد أوحاها الله تعالى للذين من قبلك من رسله وأنبيائه.

يقتضي ظاهر هذه الآيات المباركة أن الكلام الذي يوحى إليهم كان عربيا وهم يعلمونه.

فإذا قلنا بناءا على هذه القرينة القوية بان ما يوحي به الله إلى أوليائه يتم بالكلام العربي لان العربية هي اللغة التي أنشاها عز وجل لما كنا مجازفين. وخاصة بعد ان يذكر الباري عز وجل الجامع الذي يوحي به إليهم بما فيهم رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله وعليهم وسلم خصّص بعد أن عمّم وبيّن إيحاء القرآن الذي يختلف عن كل ذلك الإيحاء لكونه بنفسه معجزة طلب منه إظهارها إلى الناس جميعا وان كان هو بنفسه من جملة ذلك الإيحاء الكلي لأنه قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيهِ...**﴾[2].

(١) : الشورى: ١–٣.

(٢) : الشورى: ٧.

سادساً[١]: قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...**﴾[٢].

يمكن أن يستشف من هذه الآية المباركة ولو من مكان بعيد انه لو لم يكن اللسان العربي لسان الكون كله لما بُعث به النبي الكريم صلى الله عليه واله لأنه مبعوث للكون كله ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾[٣]، ومن هنا لعلّه جاءت بعض الروايات عنهم عليهم السلام تسمّي المؤمنين بالعرب، نسبة لهذه اللغة العظيمة لانّ الله سبحانه وتعالى علّمها أنبيائه. وقد كان كلام الباري عز وجل بها ، فأصبحت وكأنها لغة الكون، وهي كذلك إذ ليس هناك لغة للإنسان مع كثرة اللغات وتفرعها تستطيع أن تحرّك كلّ الأوتار الصّوتية في الفم كما ادّعى ذلك أهل الخبرة، فإذاً هي لغة خاصة متناسقة مع الكون كله، وهذا من عجائب الأمر. ولو لم يكن كذلك فلماذا تم اختيار اللغة العربية لتكون لغة للقرآن؟

ولماذا كان وحي الله تعالى عربيا مع أوليائه كما ظهر ذلك فيما قدمناه؟

ويؤيده ما ورد (انه لم ينزل وحي على نبي من الأنبياء إلا بالعربية لقولـه (والذي نفسي بيده ما انزل الله عز وجل وحيا قط

(١) موضع الاشكال السابع.

(٢) : إبراهيم: ٤.

(٣) : الأنبياء: ١٠٧.

على نبي من الأنبياء إلا بالعربية، ثم يكون بعد ذلك النبي يبلغ لقومه بلسانهم (رواه الطبراني في المعجم الأوسط)[١] حسن صحيح، ورجاله ثقات. والله اعلم.)[٢].

كما انه قد ورد (أنا عربي و القرآن عربي ولسان أهل الجنة عربي)[٣].

وورد أيضاً (تفهموا العربية فإنها تشحذ العقل وتزيد في المروءة)[٤].

فلماذا كل هذه الخصوصيات لهذه اللغة بالذات؟

سابعا[٥]: قال تعالى: ﴿**فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ * مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ**﴾[٦].

قال في المجمع: (الصحف جمع صحيفة والعرب تسمي كل مكتوب فيه صحيفة، كما تسميه كتاباً، رقّا كان أو غيره. انتهى.

(١) الحديث رواهُ أبو نعيم في تاريخ اصبهان ٢: ٥٢، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بعث الله عزّ وجلّ نبياً إلا كان الوصي بينه وبين العربية ولكن هو الذي يفسر لقومه بلسانهم.

واخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم عن سفيان الثوري، قال: لم ينزل وحي إلا بالعربية، ثم يترجم كل نبي لقومه بلسانهم، قال: ولسان يوم القيامة سريانية ومن دخل الجنة تكلم بالعربية. عن الدر المنثور للسيوطي ٤: ٧٠.

المعجم الاوسط ٥: ٧٤.

(٢) : المقدسي / مسبوك الذهب / ٢٠ .

(٣) : المصدر نفسه.

(٤) : من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام/نهج البلاغة/شرح: ابن أبي الحديد/٢١٥٧.

(٥) : موضع الاشكال الثامن.

(٦) : عبس: ١٣ – ١٤.

و﴿**فِي صُحُفٍ**﴾ خبر لان ظاهره انه مكتوب في صحف متعددة بأيدي ملائكة الوحي). [١]

إلى أن يقول قدس الله سره (ومعنى الآيات إن القرآن تذكرة مكتوبة في صحف متعددة معظمة مرفوعة قدرا مطهرا من كل دنس و قذارة، بأيدي سفراء من الملائكة كرام على ربهم بطهارة ذواتهم، بررة عنده تعالى بحسن أعمالهم)[٢].

فإما أن يكتبوه بكلامهم الخاص بهم، وإما أن يكتبوه بالكلام العربي، فإذا كان الأول لم يكن القرآن معجزا بعربيته، لان القرآن كما نعلم هو القرآن بحروفه وكلماته وآياته، ولا ندعي بان كل حرف معجز بنفسه أو كل كلمة فأرجو عدم الارتباك، بل نقصد أن القرآن معجز كله بكلماته ومعانيه، باختلاف جهات كثيرة قد أدرك القوم بعضها وفهموها ووعوها من جهات كثيرة في الفصاحة والبلاغة ،والمعاني والبيان، وكل يوم يظهر كنز ويُكتشف أمر، فالمعاني والحروف وكلاهما وما لا ندركه ولا نحيط به إعجاز بإعجاز ولا ينحصر بزاوية دون أخرى، فلو لم يكن معجزا بعربيته فهو خلاف ما تيقّناه من الإعجاز الشامل لهذا كله.

وان كان الثاني وهو كذلك فهل يعقل أن يكتب الملائكة الوحي الإلهي بحروف وكلمات قد صنعها البشر، والمعجز أساسا هل

(١) : تفسير الميزان ٢٠: ٢٠٢.
(٢) : المصدر نفسه.

يتوقف على المصنوع البشري ـ وان كان هذا المصنوع البشري قد جاء بما أودعه الله لديه من قابلية؟ فلاحظ.

ثامناً[١]: نقل صاحب الوسائل عن محمد بن يعقوب بسنده عن سعد الخفاف عن أبي جعفر عليه السلام قال يا سعد تعلموا القرآن فان القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليها الخلق.. إلى آخر الحديث[٢].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال يجئ القرآن يوم القيامة في أحسن منظور.. إلى أن يقول: فيقول تبارك وتعالى: أدخلهم الجنة على منازلهم فيقوم فيتبعونه فيقول للمؤمن: اقرأ و ارقه قال: فيقرا ويرقى حتى يبلغ كل رجل منهم منزلته التي هي لـه فينزلها)[٣].

وعن علي بن إبراهيم بسنده عن يونس بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث يذكر فيه القرآن وما يدافع به عن قارئه إلى أن يقول فيُقال لـه هذه الجنة مباحة لك فاقرأ واصعد فإذا قرأ آية صعد درجة)[٤].

ورواية أخرى بهذا المضمون عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأخرى عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

(١) موضع الاشكال التاسع.
(٢) الوسائل ٦: ١٦٥/ ح٧٦٣٦، عن الكافي ٢: ٥٩٦/ كتاب فضل القرآن / ح١.
(٣) الكافي ٢: ٦٠١/ كتاب فضل القرآن/ ح١١.
(٤) الكافي ٢: ٦٠٢/ كتاب فضل القرآن/ ح١٢.

إذا تمعّنا في هذه الروايات فسنرى أن القرآن سيكون في الجنة، وكما نعلم أن كلماته و أحرفه جزء منه، فلو لم تكن من خلق الله المباشر فكيف ترى دخلت الجنة؟

تاسعا[١]: ﴿**الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾[٢].

(علّم القرآن: شروع في عدّ النعم الإلهية، ولّما كان القرآن أعظم النعم قدرا و شأنا وارفعها مكانا، لأنه كلام الله الذي يخطّ صراطه المستقيم ويتضمن بيان نهج السعادة التي هي غاية ما يأمله آمل ونهاية ما يسأله سائل، قدّم ذكر تعليمه على سائر النعم حتى على خلق الإنس و الجن اللّذين نزل القرآن لأجل تعليمهما.)[٣]

(علّمه البيان: البيان الكشف عن الشي، والمراد به الكلام الكاشف عمّا في الضّمير ووهو من أعجب النعم وتعليمه للإنسان من عظيم النعم الإلهية المتعلقة به، فليس الكلام مجرد إيجاد صوت ما باستخدام الرئة وقصبتها والحلقوم، ولا ما يحصل من التنوع في الصوت الخارج من الحلقوم باعتماده على مخارج الحروف المختلفة في الفم. بل يجعل الإنسان بالهام باطني من الله سبحانه الواحد من هذه الأصوات المعتمدة على مخرج من مخارج الفم المسمى حرفا أو

(١) موضع الاشكال العاشر.

(٢) سورة الرحمن/ الآيات ٢ ، ٣، ٤ ،٥ .

(٣) السيد محمد حسين الطباطبائي/ الميزان/ في تفسير هذه السورة المباركة.

المركب من عدّة من الحروف علامة مشيرة إلى مفهوم من المفاهيم يمثل به ما يغيب عن حس السامع وإدراكه.)[١]

(ثم إحضار أي وضع من أوضاع المعاني غير المحسوسة التي ينالها الإنسان بفكره ولا سبيل للحس إليها.)[٢] (وليس المراد بقوله (علمه البيان) أن الله سبحانه وضع اللغات ثم علّمها الإنسان بالوحي إلى نبي من الأنبياء وبالإلهام، فان الإنسان بوقوعه في ظرف الاجتماع مندفع بالطبع إلى اعتبار التفهيم والتفهم بالإشارات والأصوات وهو التكلم والنطق.)[٣].

نقول: الظاهر إن تعليم القرآن غير تعليم البيان، أو هو منه إلا انه لأهميته ذُكر لوحده، إلا أنه لارتباط تعليم القرآن بالرحمن، لعله لأجل ذلك ذُكر بعده مباشرة، وثم بعد ذلك جاء خلق الإنسان المترشح منه البيان.

ثم إن القرآن هو هذا الذي بين أيدينا فهو الحروف والكلمات والمعاني، لا انه اللّفظ وحده، ولا غيره دون اللفظ، كما هو الظاهر لكل أحد، نقول: تعليم القرآن وعدم ذكر مَن علَّمه ذلك لأنه في مقام الامتنان بالقرآن نفسه وبعظمته بحيث انه يرتبط ارتباطا وثيقا بأجلى صفاته الذاتية المختصة به تعالى ذِكرُه دون خلقه جميعاً، والذي يكون شاملاً لكل ما خلق الله تعالى، والتي به لا تختص رحمته بالمؤمن دون

(١)،(٢)،(٣) السيد محمد حسين الطباطبائي /الميزان / في تفسير هذه السورة المباركة .

الكافر و بشيء دون شئ آخر، فمن تلك الرحمة العامة كان تعليم القرآن، ووقوع خلق الإنسان بين هذا التعليم المرتبط بالرحمة الإلهية وتعليمه البيان، فلولا تعليمه البيان لما علم القرآن، وهو من لطائف رحمته امتنّ به على خلقه.

ثمّ هناك نكتة تأتي بالتدبر وما هي إلا أن البيان مرتبط بخلق الإنسان ومرتبط به فهو محله، والله سبحانه بما أودع به مِن لطائف خفيّة وظاهريّة استطاع أن يكون قابلا لتعلّم البيان. فكان الإنسان كما أراد الله سبحانه معبرّا ومبيّنا لِما يختلج في فكره بواسطة ما منحه الله به من منن كثيرة، ومنها وضع الألفاظ للمعاني لتدلّ عليها. ومن ذلك كانت اللغات كلها. وبهذا نقول.

ولولا الدليل القاطع الذي تكّون لدينا من قرائن كثيرة ، وان كان بعضها لا يفيد إلا ظنا إلا أن بعضها يصلح للدليلة وحده والآخر سيكون حينئذٍ مؤيداً، فبضم هذه لتلك وتلك لهذه كان السبب قويا لما ذهبنا إليه من أن جميع اللغات قد وُضعت بهذا الذي ذكره العلماء المحققون إلا في اللغة العربية.

وذلك لما يلي: إذ القرآن كما ذكرنا هو مجموع ما بين الدفتين، فالألفاظ العربية المشتمل عليها الكتاب الكريم هي من القرآن بلا ريب ولا شك، فيشملها حينئذ لفظ القرآن ولا يمكن أن يكون إلاّ كذلك كما هو واضح لكل أحد، فحينئذ لو رجعنا إلى الآيات المباركة في سورة الرحمن وتدبرناها ﴿**الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ**

الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ لعلمنا من أن تعليم القرآن قد تكفل به الباري عز وجل وتعليم القرآن كما قلنا يشمل كلماته كلها فلو كانت الكلمات من تأليف الإنسان ووضعه لما كان هذا التعليم للقران على إطلاقه.

فمن الإطلاق نعلم من أن تعليم هذه اللغة التي نزل بها القرآن كان من قِبَل الله تبارك وتعالى على لسان أحد أوليائه، ولعلّ الروايات السابقة تفيدنا في هذا المقام كمؤيدٍ قوي، كما انه قد رُوي في الخصال عن أبي عبد الله عليه السلام انه قال: (تعلّموا العربية فإنها كلام الله الذي تكلّم به خلقه..) [1].

نعم نقول بإضافة كلمات وكلمات إلى هذه اللغة على مر الدهور والعصور كما هو حال بقية اللغات بلا فرق فتمدّدت وتعدّدت كلماتها وكيفية النطق بها، لذا قالوا من أن لغات العرب كثيرة، وربما قسّموها إلى عدّة أقسام، إلا انه بنزول القرآن الكريم توضّح ما كان من الله على اليقين، فتدبّر فان المطلب دقيق جدا. وبهذا يكون امتنانه تاما بتعليم القرآن إذ هو علمه كلّه ولو كان غير

(١) : الصدوق / الخصال / ج١ /ص١٢٤. عن محمد بن علي بن الحسين في ـ الخصال ـ عن أبيه عن سعد عن احمد بن محمد بن عيسى عن احمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي عن رجل من خزاعة عن اسلمي عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام. بهذا السند رواه صاحب الوسائل في وسائله أيضا نقلا عنه / الجزء الثالث الباب الخمسون من أبواب لباس المصلي .

ذلك لما كان الامتنان تاما. وإلاّ لكان من بركة البيان ، ومن تعليمه البيان بينما بتعليمه البيان استطاع أن يفهم ما جاء في القرآن وتلك منّة أُخرى، فتفطن. ولعلّه لذا قدّمه بالذكر لأنه في مجال الامتنان به على خلقه وأخَّرَ ذِكر البيان.

ولمّا وصل البيان إلى هنا حمدنا الله على كل نعمه مصلّين على خير خلقه محمدٍ وآله وعلى جميع المرسلين وعلى عباد الله الصالحين.

محمّد حسين الأنصاري

القسم الثاني:

إشكالات أستاذنا المبجّل

آية الله العظمى الحاج الشّيخ بشير النجفي (حفظه الله تعالى)

على الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الأخ النبيل فضيلة الحجة المفضال الشيخ محمد حسين الأنصاري دام علاه بعد التحية المسنونة اعتذر عن التأخير في الجواب والتعليق على بحثك الميمون حول تعيّن الواضع للغة العربية ولم يكن هناك سبب غير اشتغال البال وتراكم الأشغال واحاطة الأهوال بي مع الانحراف في الصحة الذي مازلت أعانيه منذ الحادث[1]، ولكني تمكنت من انتزاع بضعة ساعات متقطعة فقدمت إليك ما خطر على العجالة في البال أرجو الله تعالى ان يمن عليك وعليّ بمزيد التوفيق ويلقى جهدك وجهدي رضا وليّ الله الأعظم أرواحنا لمقدمه الفداء، والسلام.

بشير حسين النجفي

١/محرم/١٤٢٣هـ

(١) وهو جريمة محاولة اغتياله أطال الله بقاءه مِنْ قِبَلِ الإرهابيينَ قبل سنين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

لا ينبغي الريب في شرافة اللغة العربية، ولا في جلالة قدرها، ويكفي في ذلك أن أشرف الكتب السماوية نزلت بالعربية وكانت لغة الأم لأشرف الأنبياء وأشرف المخلوقات على الإطلاق.

ولا يخفى على المطّلع امتيازها على سائر اللغات بسعتها ولطافتها وقدرتها على استيعاب المعاني بأخصر التعبيرات، وإن قيل بأن اللغة السريالية أقصر منها إلا أن الاختصار فيها بلغ بها إلى التفريط، وأما العربية فهي صالحة للبسط والتوضيح والاختصار، وزادها شرفاً بعض ما ورد من أهل بيت العصمة في فضلها ففي الوسائل عن الخصال عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: (تعلّموا العربية فإنها كلام الله الذي يكلم بها خلقه)[1] وفي البحار عن الاختصاص (كان لسان آدم العربية وهو لسان أهل الجنة)[2] وفسر قوله سبحانه: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[3] في التفسير المنسوب إلى القمي أي لا يتكلمون الا بالعربية (وإن كان له تفسير اخر أيضاً)[4] وفي

(١) الوسائل ب٥٠ من أبواب أحكام الملابس.

(٢) البحار ج١١ ص٥٦ ط جديدة.

(٣) سورة الواقعة الآية ٣٧.

(٤) البحار ج٨ ص٢٨٦. ط جديدة.

الـبحار في مسائل الشامي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال (كلام أهل الجنة العربية وكلام أهل النار المجوسية) [١].

ولا يخفـى أن مـا جـاء في الاختصاص من لسان آدم العربية يُعـارَض بما روي من أن أول من تكلم العربية إسماعيل. ففي البحار في خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام ما يدل على أن إسماعيل أول من تكلم العربـية وهـو يعني انه أول نبي تكلم بها أو هو الأول من آباء النبي الاعظـم صلى الله عليه وآله تكـلم بها للجزم بوجودها قبله، وفي البحار أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله أن العربية أفضل اللغات [٢].

هـذا ولكـن الكـلام لـيس في المقام كبحث علمي لغوي عن شرافة اللغة إنما هو في تحديد الواضع فنرجو التأمل في ما يلي:

اخـتراع لغـة كاللغة العربية يعني ابتداع موادها وهيئتها ويعني ذلـك هيـئات مفـرداتها ومركـباتها الناقصة والتامة وإيجاد جوامدها المؤلفة من هيئاتها وموادها ضمن أوزان وقواعد محددة.

ثم وضـع المـادة الـتي هي عبارة عن الاجزاء ذوات الحروف الهجائـية المرتبة على ترتيب معين في كل كلمة مسبوق بإبداع ذوات الحروف وسبكها في ترتيب معين، كما أن الأجزاء للكلمة هي عبارة عـن الأجـزاء من الصوت الذي هو كيفية الهواء الخارج من الأوتار الصـوتية المغروسة بالحنجرة يتم تجزئته بالآلات المودعة بيد الحكيم

(١) البحار ج٢٥ ص٢٩ عن إثبات الوصية للمسعودي.
(٢) البحار ج١٧ ص١٥٨.

من لدن أقصى الحلق إلى مبدأ الفم الشفاه والخيشوم، ومعلوم أن كل حرف هجائي قطعة أو جزء من تلك الأجزاء وواضح ان حصرها في عدد معين انتقائي وجعلي خضع لاختيار واضع اللغة حسب الكفاية والحاجة كما أن حصر الهيئات للجوامد والمشتقات المفردة والمركبات جعـلي وانـتقائي ويمكن الالتزام بخضوعها للمناسبة القائمة بين تلك المـواد مـع صون فعل العاقل عن اللغو والعبث وعن قباحة الترجيح بلا مرجح المنجر إلى الترجيح بغيره في مثل المقام.

ثم وضـع لغة ما ـ سواء كانت لأسرة أو لطائف أو لشعب من بـني آدم أو لنوع أو صنف من الحيوانات الأخر يستند التفاهم في ما بيـنهم إلى المـنطق المؤلـف من أجزاء الصوت ـ إن كان يعني ابتداع الصوت أو تجزئتها التي تتكون من بعضها الحروف الهجائية فلا ريب في أن كل ذلك تكويني يخضع للفعل التكويني بآلات منح الله سبحانه صاحبها ولا فرق في ذلك بين اللغات الإنسانية بل الحيوانية.

وإن كـان يعـني ربـط بعـض الأجزاء ببعضها في ترتيب معين وهيـئة مخصوصـة مسـبوقا بأنـتقائها لأجل المناسبة بينها وبين محط الـنظر للواضـع من المعنى الطبيعي أو الجزئي أو الكلي فهو كما يمكن أن يـتم ذلك دفعة لمجموع وافية بالاحتياج كي تصلح لأن تسمى لغة كذا، كذلك يمكن أن يتم ذلك تدريجاً حسب الحاجة، وإن كان الأول مـن واحـد فـلا فـائدة فـيه ولا يمكـن احتسـابها كلغة ما لم يعرف المخاطب بها حقيقتها بكل خصوصياتها المادية والصورية والافرادية

والتركيبية فان كانَ من فعله سبحانه فلا بد من أن يطلع عليها مجموعة من الناس أو تدريجاً كي يمكن احتسابها لغةً يتفاهم بها شعب أو قوم أو أسرة فلا يكفي إطلاع شخص واحد لكونه لغواً لأنه بدوره يعجز أن يتفاهم بها مع الأخرين بدون سبق لغة تفاهم بينه وبين غيره يستعين بها على تعليم لغة استحدثها هو أو إبتدعها رب العزة وأطلعه عليها ويُنقل الكلام إلى اللغة السابقة فيجري فيها نفس الكلام.

كما أن ارتباط كلمة بالنحو المتقدم أو لفظ بمعنى معين كليّاً أو جزئيّاً أو طبيعياً:

إن كان تكوينياً كما لعله يقتضي الرائي (وإن كان سخيفاً) القائل بدلالة ذاتية[1] للألفاظ على معانيها، وكان بفعل البشر فهو الواضع أو بفعل خالق الكائنات لارتباطه بالمناسبة التكوينية كارتباط المعلول بالعلة الفاعلية أو الغائية فلا يختص ذلك بلغة ما لعموم الصنع التكويني للكائنات كلها والإطلاع على ذلك، وإن أمكن بواسطة القوة المودعة في البشر وغيره بدون حاجة إلى سبك لغة يستعان بها على تعليم اللغة الحديثة وتعلمها إلا أن ذلك يعمّ اللغات البشرية والحيوانية الصوتية كلها، ودعوى استناد ذلك في

(١) ج١ التفسير المنسوب إلى أبي عبدالله محمد بن عمر الرازي عن عباد. الثامنة والعشرون من المباحث المتعلقة بالكلمة.

بعض اللغات إليه تعالى يفتقر إلى ما يبيد احتمال الخلاف.

وإن كان الارتباط اعتباريا فلا تكفي القوة التكونية المودعة في ذوات المتكلمين باللغة بل لابد من إطلاع وتعليم من الواضع لمجموعة من الناس بالاستعانة بلغة سابقة عليها وإلا لم تكن هناك لغة صالحة للتفاهم في ما بين الناس وإن كان يمكن ـ بل لابد ـ الالتزام بأن الله وضع لغة ما وعلمها آدم وزوجه حواء استعانا بها على التفاهم فيما بينهما وتعلم منها الأولاد والأحفاد إلا أنه لم يثبت بدليل معتبر أو خبر موثوق أنها العربية أو السريانية أو غيرها، والروايات التي تدل على أن إسماعيل أول من تكلم بالعربية بوحي من الله يقتضي أن لغة آدم التي ابتدعها الله سبحانه لأول البشر غير العربية وهي من صنع الله سبحانه فيما سعيت إلى إثباته من أن الوضع من الله سبحانه من خصوصيات اللغة العربية هدمته بهذه الروايات التي سعيت إلى جمعها والتي دلت على أن اسماعيل أو أي نبي آخر غير آدم أول من تكلم باللغة العربية بتعليم من الله[1].

(١) ثم ما دل على ان إسماعيل عليه السلام أول من تكلم بالعربية من الروايات. وان لم يصح سنداً شيء منهما ـ مختلفة ففي البعض ما يظهر أنه تكلم بالعربية. البحار ج١٢ ص١١٢ وفيه عن مجمع البيان ج١٢ ص١٠٨٧ ان إسماعيل أول من شق لسان بالعربية وفيه ج٧٨ ص١٧٨ عن تحف العقول: أول من شق لسانه بالعربية إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام وهو ابن ثلاث عشرة سنة وكان لسانه على لسان أبيه وأخيه وهو أول من نطق بها وهو الذبيح وفيه أيضاً ج٢٥ ص٢٩ عن إثبات ➤

وما ذكرنا من لزوم وجود لغة حصل بمقتضاها كان التفاهم بين آدم وزوجته حواء لايخص بالبشر بل لكل الحيوانات التي يتكون منطقها من الصوت كذلك فانه من صنع الله سبحانه بل الحيوانات التي تتفاهم بدون صوت كما يظهر في كثير من الزواحف والتي تمشي علي الأربع كالنمل والديدان والحشرات ولا يبعد ان يكون التفاهم بين الملائكة فيما بينهم بغير الصوت بل بالموجات الإيحائية وكما ان عبادة كل الموجودات مما عدى البشر والحيوانية حتى الجمادية لانها كلها تسبح الله سبحانه وتقدسه قال الله سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[1] ونظير ذلك قوله سبحانه: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[2] وكذلك قوله سبحانه في قصة نبي الله سليمان: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾[3] وهكذا ولا ريب في ان هذه الموجودات تسبح الله وتقدسه وجملة وافرة منها التي تعيش حياة عضوية تملك نحواً من الاختيار والإرادة والإدراك مهما يكن قليلاً

الوصية للمسعودي ضمن بيان جلالة آبائه عليهم السلام ثم خصصت به إسماعيل دون ولد إبراهيم فانطقت لسانه بالعربية التي فضلتها على سائر اللغات.

(١) سورة الإسراء آية ٤٤.

(٢) سورة فصلت آية ١١.

(٣) سورة النمل آية ١٨ – ١٩.

تتفاهم فيما بينهم بلغة ذات صوت أو بحقيقة أخرى خالية من مكونات الصوت كلها تملك لغات أوجدها الله سبحانه وفهمها إياها.

فعليه الذي ينبغي ان نتعامل ونعتمد عليه ان اللغات البشرية هكذا من صنع الله سبحانه مباشرة أو من صنعه تعالى بايداع قوة في الذين يمنحهم هذه اللغة فيتواصلون من صنعهم إليها بتلك القوة فتكون من صنعه بالاستعانة بقوة أودعها الله سبحانه فيهم أو هناك تميز فبعض تلك اللغات مما وضع الله سبحانه بالنحو الذي تقدمت الإشارة إليه في صدر الكلام في معنى وضع اللغة والبعض الآخر من صنع البشر بالاستعانة بالقوة المودعة فيه وليس هناك ما يثبت ان لغة معينة كاللغة العربية من صنع الله سبحانه بالمباشر بل هناك ما يمكن الاستشعار بل الاستدلال بان اللغات كلها أو جلها بفعله سبحانه أما مباشرة أو قوة أودعها الله في من يستعينون بتلك اللغات على التفاهم قال سبحانه : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾[1] الاختلاف أما المقصود به اختلاف الحقيقة فنسبة الاختلاف إليه تعالى يعني نسبة صنع ذوات اللغات إليه وان كان المقصود بها مجرد النغمات الصوتية فعندئذ يقال ان اختلاف النغمات بما أنها لا تنفك عن الاختلاف في نفس الصوت فيكون له دلالة على نسبة خلق

(١) سورة الروم آية ٢٢.

اللغة إليه سبحانه بالالتزام ثم المقصود باللسان في الآية بل قد احتمل فيه اما اختلاف النغمات أو اختلاف ذوات اللغة إلاّ ان الشمول لهما أوفق بالاسلوب القرآني كما عليه بعض المحققين من علماء التفسير.

ثم لا ينبغي الخلط بين التكلم بلغة معينة في مقام التفاهم والتخاطب وفي مقام انشاء مقال أو تصنيف كتاب أو نظم بيت من الشعر وبين الانشاء وايجاد تلك اللغة فعلية كل ما دل على ان فلان تكلم بلغة معينة لا ينبغي نسبة خلق اللغة إليه وإلا لكان كل من يتكلم ولو بالتعلم والتكسب بلغة ما كان واضع تلك اللغة ولا يخفى سخافة هذا الرأي فعليه كل ما دل على انه سبحانه تكلم بلغة عربية لا يثبت ولا يومي إلى انه هو الواضع لتلك اللغة؛ وَاختياره سبحانه للغة معينة للتخاطب مع الأنبياء والصلحاء يقتضي شرافة تلك اللغة أما ذاتية وأما اعتبارية ولسنا نحن بصددها.

وبعد هذا التمهيد البسيط نحاول ان ننتظر فيما جاء ضمن كلماتك أيها الأخ النبيل زاد الله في توفيقك.

الإشكال الأول[1]:

جاء في كلامك (ان هذا الكلام الذي بين الدفتين لكتاب الله المجيد هل يصح ان يطلق عليه

(١) لفظ (الإشكال الأول) ولفظ (الإشكال الثاني) وهكذا أدخلناها على ما خطّه قلمه الشريف تسهيلاً لبيان الإشكالات وموضعها للقارئ الكريم.

انه كلام الله تعالى فاذا صح وهو يصح واذا صح فهو يصح على الحقيقة دون المجاز وذلك لان التبادر علامة الحقيقة والمتبادر هو ذلك كما ان عدم صحة السلب من علامة الحقيقة كذلك ولا يصح سلب ذلك منه فاذا كان كذلك فلا يحوي الكتاب الا الكلام العربي فاذا هو كلام الله واذا كان كلاما لله فكيف يكون من وضع البشر؟).

فيه ـ أولاً ـ قد علمت ان سبك كلام في لغة ما صادر من أحد لا يعني ان المتكلم واضع تلك اللغة.

ثانياً ـ ان التبادر وعدم صحة السلب من علائم الحقيقة عند أهل الفن إلاّ انها في وضع الألفاظ والهيئات وأما نسبة شيء إلى فاعل ما فهي راجعة إلى الذي يقوم بانشاء هذه النسبة الاضافية وغيرها وليس التبادر وغيره في مثل هذا يعتبر من العلائم وقد خلطت بين صدق الاسناد والنسبة بين استعمال اللفظ أو هيئته التركيبية أو الافرادية في معنى ما.

ثالثاً ـ قد حققنا في محله ان الذي ينفع الباحث هو الظهور وليس التبادر واخواته وليس لدى اهل الفن علامة للظهور مضافا إلى ما اوضحنا في محله من المناقش في كون التبادر أو صحة السلب وعدم صحته من العلائم.

الإشكال الثاني:

وجاء في كلامكم مستشهدا في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[1] والضمير في (نزل به) للقرآن بما انه كلام مؤلف لفاظ لها معانيها الحقة (الحقيقية)ظ فان الفاظ القرآن نازلة من عنده تعالى كما ان معانيها نازلة من عنده على ما هو ظاهر قوله ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[3] فلا يعبأ بقول من قال ان الذي نزل به الروح الأمين إنما هو معاني القرآن الكريم ثم النبي صلى الله عليه وآله كان يعبر عنها بما يطابقها ويحكيها من الالفاظ بلسان عربي) فتنزيل القرآن باللسان العربي كان من الله فهل يعقل كذلك ان يكون مادة ما ينزل من الله من توليد البشر؟ ولو كان بعض ذلك لاحتاج الباري لمخلوقاته وهو كما ترى.

(١) سورة الشعراء آية ١٩٢ – ١٩٥.
(٢) سورة القيامة آية ١٨.
(٣) سورة البقرة آية ٢٥٢.

فيه ـ أولاً ـ ما زلت في الخلط بين اللغة وإيجادها بالمعنى المذكور في صدر الكلام وبين التكلم في لغة ما أو أنشاء مقال أو تصنيف كتاب أو نظم قصيدة فان ما ذكرت إنما يدل على ان هذا الكلام وهو كلام الله أوجده الله سبحانه من دون ان يكون قائما به وإنما أوجده الله سبحانه بقدرة خلاقة فيكون كلام الله والمتكلم به هو سبحانه ولايثبت ان اللغة العربية من أساسها بوضع الله سبحانه كيف والقرآن مخلوق عند العدلية وانت نجم منهم واللغة العربية كانت سابقة على نزول القرآن موجودة بين الناس ولست ادري من اين خلقت الملازمة بين التكلم باللغة وأنشاء مقال فيها وبين وضع اصل اللغة وتأسيس قواعدها وأسسها ومبانيها.

وثانياً ـ قولك انه لو كان واضع اللغة غيره سبحانه لاحتاج الباري لمخلوقاته... الخ غريب جداً فان استخدامه تعالى للغة ما لا لأنه محتاج إلى تلك اللغة كحاجة الممكن إلى الواجب المستحيل عليه بل يعني ان المخاطَب لا يتمكن من استيعاب معاني كلامه تعالى إلاّ إذا كان الخطاب بلغة[1] أو لأجل التحدي والأعجاز[2] أو لبيان شرافة تلك اللغة[3] أو لغيرها من الغايات ولو كانت الاستعانة على

(١) يأتي الجواب عنه في القسم الثالث، ص ٨٤.
(٢) يأتي في القسم الثالث الجواب عنه ص ٨٤.
(٣) يأتي في القسم الثالث الجواب عنه ص٨٨.

هداية الناس بلغة ما أو بشيء هو من صنع البشر يثبت الاحتياج في الباري جلت عظمته ينافي وجوب الوجود لاتسع الخرق على الراقع كما لا يخفى على من لـه أدنى قدرة على التفكير.

الإشكال الثالث:

وجـاء في كلامـك (كما أنه لو كان من وضع البشـر لتوقفـت المعجزة (لأنه المعجزة الخالدة للنبي الكريم محمد ﷺ) على ما يصنعه البشر وهو كسابقه بالـركة ولقـد استقصينا كل المعاجز الإلهية التي بين أيديـنا المشار إليها في القرآن الكريم أو التي نعرفها فرأيناها كلها لاتتوقف على غير خلق الله المنسوب إليه بالاصالة).

ثم نقلت الآيات الواردة في القرآن الحاكية للمعاجز التي جعلها الله سبحانه حججاً وأدلةً على صدق أنبيائه. ويلاحظ عليه أولاً بان كـون القـرآن معجـزاً باعتـباره كـلام الله وبلغ في الفصاحة والبلاغة واستيعاب المعاني والإخبار بالمغيبات وغيرها من الجهات حداً يعجز البشر عن الإتيان بمثله أو بمثل بعضه وهذا لا يعني أن الله سبحانه هو خـالق اللغـة إذ بيَّنا فيما سلف أن كون الكلام في لغة ما منسوباً إلى شخص لا يعني أنه واضع تلك اللغة.

الإشكال الرابع:

ثانـياً: أنـك قلـت في كلامـك (قـد إستقصـينا كـل المعاجـز الإلهـية..... الخ) وذكـرت منها إحياء الطيور على يد نبي الله إبراهيم عليه السلام وهـو مـن الغرائـب فـإن الإحياء متوقف على الموت والذبح. فانتبه وهو فعل إبراهيم عليه السلام.

وقلـت في مقـام استدلال على أن المعجز لا يتوقف على فعل البشر مستشهداً.

بقوله سبحانه: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[1] ومـن الواضـح أن تـبريد النار و جعلها سلاماً على إبراهيم متوقف عـلى إشـعال الـنار ووجودهـا وإلقـاء إبراهيم فيها وكلها من فعل البشر.

وذكـرت قولـه تعـالى: ﴿أَفَرَأَيْـتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنْتُمْ أَنشَـأْتُمْ شَـجَرَتَهَا أَمْ نَحْـنُ الْمُنشِؤُونَ﴾[2] ومن الواضح إشارة الآية إلى الـنار التي نوقدها بالحطب وغيره من أنواع الوقود ولا شك أنها تـتوقف عـلى فعـل البشر فأنت تجمع الحطب وأنت تقدح النار والله ينشئها.

ثم مـن الغريـب أن تذكر هذه الآية في هذا المقام لأنها ليست

---

(١) سورة الأنبياء آية ٦٩.

(٢) سورة الواقعة الآية ٧١ – ٧٢.

معجزة من معاجز الأنبياء إنما جاءت لبيان أن الأمور التكوينية كلها خاضعة لإرادة الله سبحانه.

وذكرت معجزة موسى ضمن قوله سبحانه: ﴿**اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**﴾[1] ومن الواضح أن بروز يد موسى الشريفة بيضاء تضيء وتنير الجو للمشاهدين متوقف على فعل موسى المأمور به بقوله إسلك يدك وقوله واضمم جناحك.

وأشرت أيضاً إلى معاجز موسى في عصاه ولو تأملت لرأيت أن تحولها إلى ثعبان كان يتوقف على الإلقاء وهو فعل موسى.

وذكرت قوله سبحانه: ﴿**أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ**﴾[2] فمن الواضح أن الحرث والإبذار والسقي وغيرها من الأعمال المختصة بالمزارع يقوم بها البشر والإنبات يكون بفعله سبحانه، كما انّ تحولها إلى شجرة مثمرة يكون عقيب غرسنا إيّاها في الأرض، كما أن هذه الآية مثل قوله سبحانه: ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ**﴾ ليست واردة في المعاجز[3] وإنما هي بيان نعم الله سبحانه أنعم بها على عباده لتنبيههم إلى قدرته سبحانه

(١) سورة القصص آية ٣٢.
(٢) سورة الواقعة آية ٦٣ – ٦٤.
(٣) يأتي في القسم الثالث الجواب عنه ص٨٦.

ويحثهم على الإيمان به والتوكل عليه وهكذا قوله سبحانه: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾[1].

وأما ناقة صالح فكانت معجزة لنبي الله صالح حيث دعا فاستجاب الله له وأظهر له معجزة تماماً مثل نزول مائدة من السماء بعد دعاء عيسى بن مريم كما طلب منه الحواريون ذلك فهما مسبوقتان بفعل البشر وهو الدعاء.

وأما قوله سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ**﴾[2] ينبغي أن نفهم أن نبي الله داود كان يسبح ويتلو ما انزل له الله عليه وكانت الجبال تردد الأصوات التي تخرج من فم النبي داود وكذلك الطيور وأما قوله ﴿**وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ**﴾ فكان نتيجة دعائه وكان يلمس الحديد فيذوب في يده وكل ذلك يدل على عكس ما أردت أن تثبت.

وأما قوله تعالى: ﴿**وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾[3] هذه كانت أيضا استجابة لدعاء نبي الله سليمان حيث قال: ﴿**قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي**

(١) سورة آل عمران آية ٥٩.
(٢) سورة سبأ آية ١٠.
(٣) سورة سبأ آية ١٢.

﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[1] والدعاء فعل البشر وهو نبي الله سليمان، وأما إنشقاق القمر فكان نتيجة دعاء نبينا ﷺ أو لإشارته على ما يستفاد من بعض الروايات وكذلك تسبيح الحصى ونبوع الماء من أصابعه الشريفة كل ذلك كان مسبوقاً بفعل النبي كأخذ الحصى بكفه الشريف ووضع اليد... الماء وهكذا ولو لم يكن ذلك لما كان معجزة له ﷺ.

أما قوله تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[2] فسبيل بعض ما تقدم من أنها لبيان قدرة الله تعالى وعظمته ليرشد الناس إلى الإيمان به ونبذ الأنداد وليست لها علاقة بالمعجزة إلا ضمن كونه جزءاً من القرآن وكلامنا ليس فيه فعلاً.

وأما قوله سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[3] فهو دال على عظمة الله أن الله سبحانه يبرز آياته ودلائله على وجوده ثم على وحدانيته وهيمنته القومية وليس لذلك علاقة بمسألة المعجزة.

ثم لا يخفى أن المعجزة هو فعل خارق لنواميس الطبيعة قد يكون فعل الله سبحانه عقيب التحدي لإثبات دعوى النبوة أو

(١) سورة ص آية ٣٥.
(٢) سورة العنكبوت آية ٦١.
(٣) سورة فصلت آية ٥٣.

الإمامة وقد يكون فعل نبي أو أمام بعد ما يمنح الله له قوة على ذلك فمثلاً القرآن هو المعجز الخالد وهو كلام الله بمعنى أنه تعالى رتب هذه الجمل والألفاظ والفقرات وتحدي بالمجموع وبالأبعاض البشرية جمعاء من لدن نزول أول آية وإلى قيام الساعة فهو فعل الله سبحانه وقد يكون المعجز من فعل البشر[1] بمعنى أنه تعالى يودع قوة ينتج فعلاً بها خارقاً لنواميس الطبيعة فمثلاً قول جبرائيل لمريم: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾[2] ومعلوم أن فاعل الهبة جبرائيل بما أعطاه الله من القوة وكان نسبة خلق عيسى إليه سبحانه لأن ما فعله جبرائيل كان بقوة من الله وبأمر منه وكذلك قول عيسى: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ﴾[3] ومعلوم أن فاعل الخلق هو عيسى وكونه طيراً بإذن الله وقوله سبحانه: ﴿وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ﴾[4] ومعلوم أن ظاهر الآية أن فاعل هذه الأفعال كلها هو عيسى بن مريم وكذلك كلامه وهو في المهد صبياً فعله هو استناداً إلى قدرة من الله سبحانه التي أودعها فيه وكما هو ظاهر قوله سبحانه: ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ

(١) يأتي في القسم الثالث الجواب عنه ص ٨٧.
(٢) سورة مريم الآية ١٩.
(٣) سورة آل عمران آية ٤٩.
(٤) سورة آل عمران آية ٤٩.

وكَهْلاً﴾[١] وقولـه سبحانه: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٢] ولا ينبغي أن يختلط علينا .

نعم إن الله سبحانه ينسب أفعال عباده في بعض الأحيان إليه لأنها صادرة منهم بأمره وبقوته المودعة فمثلاً تارةً ينسب قبض الأرواح إلى نفسه فيقول: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣] وقوله: ﴿مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[٤] ومعلوم أن الملك عزرائيل هو المكلف بقبض الأرواح كما يقتضيه قوله سبحانه: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[٥] كما أنه معلوم أن النفخ في الصور كالنفخة الأولى المهلكة للكون كما يقتضيه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاء اللهُ وكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾[٦] وقوله سبحانه: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاء اللهُ

(١) سورة المائدة آية ١١٠.
(٢) سورة آل عمران آية ٤٦.
(٣) سورة الزمر آية ٤٢.
(٤) سورة آل عمران آية ٥٥.
(٥) سورة السجدة آية ١١
(٦) سورة النمل آية ٨٧

ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[١] ومعلوم من الأخبار المروية في هذا الشأن ان الذي يتولى النفخة الأولى والثانية وكذلك الثالثة هو اسرافيل بأمر منه تعالى[٢] وكذلك الثانية كما هو ظاهر قوله: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾[٣] لأجل إحياء المكلفين بإعادة الحياة إليهم بفعل الملك مع إن الموت والحياة ينسب إليه سبحانه فتأمل جيداً.

الإشكال الخامس:

وأما قولك مستشهداً بقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[٤].

فلاحظ الدعوى التي ذكرها الله تعالى لهم من ان هناك من يعلمه القرآن وهو من البشر، فهنا دعويان رد الاولى منهما بكون الذي يقولون بأنه يعلمه اعجمياً وهذه اللغة مختلفة عن لغته وبقيت الدعوى الثانية وهي كون الذي يعلمه من البشر على

(١) سورة الزمر آية ٦٨.
(٢) البرهان في تفسير القرآن وغيره.
(٣) سورة النبأ آية ١٨.
(٤) سورة النحل آية ١٠٣.

حالها فتفطن فبماذا ردها ؟ الواقع انه ردها ببيان مقتضب لطيف وهو ان هذا اللسان لم يكن لساناً بشرياً ابداً بل لسان عربي مبين فتدبر.

ففيه ـ أولاً ـ انك ما زالت تخلط بين كون القرآن كلام الله وبين كون واضع اللغة العربية هو الله والآية في مقام توضيح بطلان افتراء المشركين على النبي ﷺ وتكذيبهم له فبين ان هذا القرآن عربي والشخص الذي نسبوا القرآن إليه لا يعرف اللغة العربية ولا يثبت ذلك ان الله هو واضع اللغة العربية أو لم تكن اللغة العربية موجودة بين الناس قبل نزول القرآن[1]؟

وثانياً: نفي كون القرآن كلام البشر انما هو بالتحدي بقوله تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[3].

الإشكال السادس:

وأما استشهادك بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا

(١) يأتي في القسم الثالث الجواب عنه ص ٨٧.
(٢) سورة البقرة آية ٢٣.
(٣) سورة الإسراء آية ٨٨.

إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ﴾[1] معلّقاً عليه بأن مسالة الايجاد مشتركة بين الأنبياء كافة وبكيفية واحدة كما هو ظاهر الآية المبارك كما سيأتي مزيد بيان.

فإذا كان حرف الحاء وحرف العين وحرف القاف صعب النطق على غير العرب وإذا لم يكن كل واحد منها بهذا الواضح فاجتماع هذه الاحرف يكون مضنة لذلك أكثر .... إلى آخر كلامك.

ويلاحظ على ما قلت :

أولاً: ان تشبيه وحيه سبحانه إلى النبي الاعظم ﷺ بوحيه إلى الرسل والانبياء عليهم السلام السابقين لا يعني ثبوت كل ما للمشبّه ووجود ما في المشبّه في المشبّه به[2] ولا لكان كل ماثبت لنبي الله موسى ثابتاً لرسول الله وبالعكس لان الله تعالى قال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً﴾[3].

وقوله سبحانه حكاية لقول يعقوب لابنه يوسف: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَآ عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[4].

(١) سورة النساء آية ١٦٣.
(٢) يأتي في القسم الثالث الجواب عنه ص ٩٠.
(٣) سورة المزمل آية ١٥.
(٤) سورة يوسف آية ٦.

ومعلـوم انـه لم تثبـت مشـابهةٌ تامـة بين ما انعم الله به على يوسف وبين ما انعم الله به على اسحاق وابراهيم.

فالآيـة الـتي ذكـرتها انما تدل على المشابهة في اصل الوحي ولعل في ذلك رداً على من يتعجب من ان يكون النبي من البشر وان يوحـى إلى رجـل منهم فالله سبحانه يستشهد بالانبياء السابقين وفي هذا المعنى آيات كثيرة في القرآن.

وثانـياً: انـك ما زلت تخلط بين كون القرآن كتاب الله في اللغة العربية وبين كون الله سبحانه واضع اللغة[1].

الإشكال السابع:

وأمـا دليلك السادس قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِـن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللهُ مَن يَشَـاء وَيَهْـدِي مَـن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[2] انه يستشف من هذه الآية المباركة ولو من مكان بعيد انه لـو لم يكن اللسان العربي لسان الكون كله لما بعث به الـنبي الكريم صلى الله عليه وآله لأنه مبعوث للكون كلـه ﴿**وَمَـا أَرْسَـلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَـةً لِّلْعَـالَمِينَ**﴾[3]

(١) يأتي في القسم الثالث الجواب عنه ص٩١.

(٢) سورة إبراهيم آية ٤.

(٣) سورة الأنبياء آية ١٠٧.

ـ والأولى لك الاستشهاد بقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّـةً لِّلـنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾[1][2] ـ ومن هنا لعله جاءت بعض الروايات عـنهم عليهم السلام تسـمي المؤمنين بالعرب، نسبة لهذه اللغة العظـيمة لان الله سـبحانه وتعالى علمها أنبيائه. وقد كان كلام الباري عز وجل بها، فأصبحت وكأنها لغة الكـون، وهـي كذلـك إذ ليس هناك لغة للإنسان مع كـثرة اللغـات وتفرعها تستطيع أن تحرك كلّ الأوتار الصُوتية في الفم كما أدّعى ذلك أهل الخبرة، فإذاً هي لغـة خاصـة متناسـقة مـع الكـون كلـه، و هذا من عجائـب الأمـر. ولـو لم يكن كذلك فلماذا تم اختيار اللغة العربية لتكون لغة للقران؟

ولماذا كان وحي الله عربيا مع اوليائه كما ظهر ذالـك فيما قدمناه؟ ويؤيده ما ورد انه لم ينزل وحي عـلى نـبي مـن الأنبـياء إلا بالعربية لقولـه (والذي بنفسـي بيده ما انزل الله عز وجل وحيا قط على نبي من الأنبياء إلا بالعربية، ثم يكون بعد ذلك النبي يبلغ لقومـه بلسـانهم (رواه الطـبراني في المعجم الأوسط)

(١) سوره سبأ آية ٢٨.

(٢) يأتي في القسم الثالث الجواب عنه ص٩٢.

حسن صحيح، ورجاله ثقات. و الله اعلم). كما انه قد وردة (أنا عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة عربي) ووردة أيضاً (تفهموا العربية فإنها تشحذ العقل وتزيد في المروءة.) فلماذا كل هذه الخصوصيات لهذه اللغة بالذات؟

ويرد عليه ان كون محمد بن عبد الله ﷺ مبعوثاً إلى الكل لا يقتضي ان تكون اللغة العربية لغة الكل كما هو معلوم بالوجدان[١] ويرشد إليه قوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾[٢] فان اضافة اللسان إلى قوم مع تعدد الاقوام الذين أرسل الأنبياء إليهم واختلافهم في الخلقة والألسنة واللغات كل ذلك يعني ليست العربية لغة الكون.

أيها الأخ النبيل هل من لديك في استراليا يتقنون اللغة العربية ونعلم ان يتيم عبد الله ﷺ مرسل إليهم كما إلى العرب[٣].

وأما ما جاء في بعض الروايات من ان الله تعالى كان يوحي إلى كل نبي باللغة العربية بقوله (والذي نفسي بيده ما انزل الله عز وجل وحيا قط على نبي من الأنبياء إلا بالعربية، ثم يكون بعد ذلك النبي يبلغ لقومه بلسانهم) رواه الطبراني في المعجم الوسيط حسن

(١) يأتي في القسم الثالث الجواب عنه ص٩٢.
(٢) سورة إبراهيم آية ٤.
(٣) يأتي في القسم الثالث الجواب عنه ص٩٢.

صحيح ورجاله ثقات والله العالم. كما انه قد ورد (أنا عربي والقرآن عربي لسان أهل الجنة عربي) وكذلك قوله (تعلموا العربية فانها تشحذ العقل وتزيد في المروءة).

فيه ـ أولاً ـ انه كان الاوفق بك ان تذكر الرواية الموجودة في علل الشرائع عن الصادق عن أبيه ﷺ[١] قال:

(ما انزل الله تبارك وتعالى كتاباً ولا وحياً الا بالعربية فكان يقع على مسامع الانبياء بالسنة قومهم وكان يقع على مسامع نبينا بالعربية فاذا كلم به قومهم ـ قومه كما في مصدر آخر كلهم بالعربية فيقع في مسامعهم بلسانهم وكان واحد لا يخاطب رسول الله باي لسان خاطبه الا وقع في مسامعه بالعربية كل ذلك يترجم جبرئيل له وعنه تشريفاً من الله سبحانه له)[٢]. فان هذا اوفق بمذهب الحق من الطبراني وتصحيحه.

وثانياً: ان كل ذالك انما يدل على شرافة اللغة العربية و علوم قدرها و جلالة شأنها ولا كلام فيه[٣].

وثالثاً: ما زلت تخلط بين كون الكلام في اللغة العربية وبين كون الشخص المتكلم واضعاً وموجوداً للغة فتدبر.

(١) يأتي في القسم الثالث الجواب عنه ص٩٣.
(٢) علل الشرائع ج١ ص١٢٦ ط النجف الأشرف.
(٣) يأتي في القسم الثالث الجواب عنه ص٩٤.

الإشكال الثامن:

وأما دليلك السابع مستشهداً بقوله سبحانه: ﴿**فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ * مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ**﴾[١] إلى آخر كلامك.

فإن ما ذكرت ـ وقد اطلت الكلام ـ إنما يدل على ان القرآن باللغة العربية والصحف كتبت باللغة العربية وهذا مما لا كلام فيه وهو يدل على شرافة اللغة العربية[٢] ولا ريب فيه ولا يستلزم كون الله واضع لغة بعدما كانت هذه الصحف وهذه الكتب وهذه الكلمات الإلهية كلها مخلوقة مسبوقه بالعدم[٣] وكتابة الملائكة للغة العربية مثل كتابتك أنت وغيرك من الصالحين بل والفاسدين باللغة العربية وما زلت تخلط بين التكلم باللغة و الكتابة فيها وبين وضع اللغة بالمعنى الذي تقدم منها في ابتداء الكلام وتشريفه سبحانه للغة لا يستلزم كونها من صنعه سبحانه والشاهد عليه انه هناك مساجد شريفة مثل المساجد الثلاثة الحرام والنبوي ومسجد الكوفة وهي من صنع البشر بامره تعالى وهناك مساجد خاليه من التشريف كمسجد ضرار وغيره.

الإشكال التاسع:

وأما دليلك الثامن فغاية ما يستفاد منه عظمة القرآن وان اللغه

(١) سورة عبس آية ١٣-١٤.
(٢) يأتي في القسم الثالث الجواب عنه ص٩٤.
(٣) يأتي في القسم الثالث الجواب عنه ص٩٤.

العربية هي لغته[١] والله تعالى شرف اللغة بالقرآن وان تعليم القرآن يدخل صاحبه وتاليه إلى الجنة وعلقت على هذه المعاني بقولك:

(إذا تمعنا في هذه الروايات فسنرى ان القرآن سيكون في الجنة وكما تعلم ان كلماته واحرفه جزء فيه ولو لم تكن من خلق الله المباشر فكيف ترى دخلت الجنة).

يلاحظ عليه انه سبحانه يقول: ﴿**وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا**﴾[٢] يعني نفس الاعمال تظهر للناس إن كانت حسنه ففي صورة حسنة واذا كانت سيئة فتظهر في صورة سيئة بشعة وهي من فعل الخلق وهي في الجنة والروايات الدالة على تجسيد الاعمال كثيرة تشهد به وتأويلها يأجر الاعمال ونتائجه بما انها معلول لعملهم لا يغيّر مما نحن بصدده شيئاً كما لا يخفى[٣].

وثانياً: ان كل ذلك يدل على شرافة القرآن و شرافة اللغة العربية ولا ريب لنا ولا شك لنا فيه.

(١) يأتي في القسم الثالث الجواب عنه ص٩٥.
(٢) سورة الكهف آية ٤٩.
(٣) يأتي في القسم الثالث الجواب عنه ص٩٥.

الإشكال العاشر:

ثم أنت ضمن دليلك التاسع عدت إلى ما ذكرته في أوائل كلامك لكن في ثوب آخر وحاصل ما جاء فيه :

ان الله تعالى قال: ﴿**الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾[1] إلى آخر الآية وعلقت عليه: بان تعليم القرآن قد تكفل به الباري عز وجل وهو يشمل كلماته كلها ولو كانت الكلمات من صنع الانسان ووضعه لما كان هذا التعليم للقرآن على اطلاقه فمن هذه الامور نعلم ان تعليم هذه اللغة التي نزل بها القرآن كان من قبل الله تبارك وتعالى إلى آخر كلامك.

يلاحظ عليه بانك مازلت تخلط بين وضع اللغة وبين كون القرآن كلام الله فتنبه لذالك والله الهادي[2].

قد تلخص مما تقدم انه لم يتم دليل على ان هناك لغة معينة من وضع الله سبحانه وصنعه[3] ولكن يقتضي الميزان العقلي أو العقلائي ان تكون هناك لغة علمها الله سبحانه آدم عليه السلام وزوجه كانا

(١) سورة الرحمن آية ١ – ٤.
(٢) يأتي في القسم الثالث الجواب عنه ص٩٦.
(٣) يأتي في القسم الثالث الجواب عنه ص٩٦.

يتفاهما بها ولم يثبت بدليل معتبر أنها اللغة العربية أو غيرها لان مادل على أنها العربية لم يثبت اعتباره سنداً.

تعقيبات على تلك الإشكالات[1]:

ثم انه قد جاء في توحيد المفضل بن عمر تلميذ الإمام الصادق عليه السلام الذي أملاه الإمام عليه السلام عليه ما نصه[2]: تأمل يا مفضل ما انعم الله تقدست أسمائه به على الإنسان من هذا المنطق الذي يعتبر به عما في ضميره وما يخطر بقلبه وينتجه فكره، وبه يفهم عن غيره ما في نفسه ولولا ذلك كان بمنزلة البهائم المهمة التي لا تخبر عن نفسها بشيء ولا تفهم عن مخبر بشيء، وكذلك الكتابة التي بها تقيد أخبار الماضين للباقين وأخبار الباقين للآتين، وبها تخلد الكتب في العلوم والآداب وغيرها، وبها يحفظ الإنسان ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحساب. ولولاها لانقطع أخبار بعض الأزمنة عن بعض وأخبار الغائبين عن أوطانهم، ودرست العلوم وضاعت الآداب، وعظم ما يدخل على الانسان من الخلل في امورهم ومعاملاتهم وما يحتاجون إلى النظر فيه من امر دينهم، وما روي لهم مما لا يسعهم جهله، ولعلك تظن انها مما يخلص إليه بالحيله والفطنة وليست مما أعطيه الإنسان من خلقه وطباعه؛ وكذلك الكلام إنما هو الشيء يصطلح عليه فيجري بينهما، ولهذا صار يختلف في الأمم المختلفة.

(١) هذا العنوان اضفناهُ لخطِّه الشريف، ولم يكن في أصل الردّ.
(٢) يأتي في القسم الثالث الجواب عنه ص٩٦.

وكذلك الكتابة العربية والسرياني والعبراني والرومي وغيرها من ساير الكتابة التي هي متفرقة في الأمم إنما اصطلحوا عليها كما اصطلحوا على الكلام، فيقال لمن ادعى ذلك ان الإنسان وان كان له في الأمرين جميعا فعل أو حيلة، فان الشيء الذي يبلغ به ذلك الفعل والحيلة عطية وهبة من الله عز وجل له في خلقه. فانه لو لم يكن له لسان مهياً، للكلام وذهن يهتدي به للأمور لم يكن يتكلم ابدا، ولو لم يكن له كف مهيأة وأصابع للكتابة لم يكن ليكتب أبداً واعتبر ذلك من البهائم التي لا كلام لها ولا كتابة، فاصل ذلك فطرة الباري عز وجل وما تفضل به على خلقه فمن شكر أثيب، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين.

ومن الواضح ان المعصوم عليه السلام قد طرح ظن مَنْ ربما يظنُّ من ان اللغة والكتابة يمكن ان يخلص إليهما البشر بالحيلة والفطنة وليس مما وهبه الله سبحانه[1] ورد عليه الإمام عليه السلام بان ما يستعين به ويبلغ به إلى غايته من عطية الله سبحانه وهبته ولم ينف تمكن الإنسان ولا فعليته إلى اختراع اللغات والكتابة واعتبر اللغة العربية من تلك اللغات ومعلوم ان إسناد عدم الشيء إلى عدم المقتضي أو لا من إسناده إلى عدم الشرط أو إلى وجود المانع هو المتعين حسب الموازين العلمية فان البحث عن توفر الشرائط وانعدام الموانع انما

(١) يأتي في القسم الثالث الجواب عنه ص٩٦.

يكون بعد إحراز المقتضي وكيف ما كان ان الرواية بظاهرها تقضي إقرار الإمام عليه السلام اعتقاد ان اللغات والكتابة بإصنافها يتوصل إليها الإنسان بفطنته وطبعه الذين هما من هبة الله سبحانه ولم يفرق بين اللغة العربية وغيرها[1].

ثم لا ينبغي الريب في نسبة كتاب التوحيد إلى المفضل بن عمر باشتهاره كما هو معلوم وجداناً ولانه معروف كما اعترف به سيدنا الأعظم ابو القاسم الخوئي قدس سره في معجمه وجزم بنسبته إليه السيد ابن طاووس في كتابيه الأمان من أخطار الأسفار والأزمان[2] وكشف المحجة بثمرة المهجة[3] وجزم بصحة النسبة المجلسي في البحار وجعله من مصادره. والله الموفق.

ثم ينبغي التأمل في شبهة أثيرت في الأوساط العلمية تتلخص في ان الكلام صوت وهو كيف مسموع وليس له بقاء بل تجدد ويحدث ويفني لانه غير قار الذات بل صوت الذي خرج من أول متكلم قد حصل وفنى والصوت الذي خرج من فم شخص يُعدّ غيره في ذاته وفي حقيقته وان تشابها فيما تشابها وكذلك النقوش التي خططت بقلم كتاب الوحي غير النقوش التي برزت على

(٢) ص ٧٨ ط النجف الطبعة الحيدرية.
(٣) ص ٩ ط النجف المطبعة الحيدرية.

الألـواح والقراطـيس فيما بعد كانت الجزئيات متباينة والجامع بينها عنوان وهو انتزاعي فيما هو ذلك القرآن بحقيقته وواقعه المشترك بين مَا في اللوح المحفوظ وبينما هو في الدفتين بين ايدينا ولا يذهب علينا ان مـا نحفظـه في أذهانـنا مـن صـور الأصوات والمعاني ونعبر عنها بافواهـنا حـين الـتلاوة عرض قائم بانفسنا والقائم في نفس شخص مـباين للقـائم بشخص آخر مباينة كلية والجامع العنواني ليس قرآنا لانـه امـر انتزاعي على انه إنما يقوم بالفعل بالاذهان وبالانفس قيام عـرض في الموضـوع فالقائم في الذهن والنفس غيرُهُ القائم في نفس آخـر فمـا هو ذلك القرآن المنقول متواتراً فتدبر ولا ينبغي ان تنزلق أوهامـنا إلى دعـوى الاتحاد بالحكم العرفي لان تحديد المصاديق بيد العقـل الدقـيق ولـيس بـيد العرف سوى المفاهيم من حيث إدراكها واستفادتها من الالفاظ وغيرها من الدوال.

وشـبهة اخـرى تتـلخص فـيما يـلي: معلوم ان الوصف عند المحققـيق يثبـت لـذات الموضوع في ظرف إسناد المحمول اليها بالفعل فقولـه سبحانه: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[1] أو قولـــه تعـالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[2] يعني ثـبوت وصـف الكتاب بالفعل حين اسناد النزول أو الوحي إليه ولا

(١) سورة الحج آية ١٦.
(٢) سورة البقرة آية ٢.

يسمى اللفظ كتاباً ما لم ينقش ومعلوم ان المقصود بالكتابة في الآيتين وغيرهمـا أمـا مـا كتـب بعـد الوحي وأما ما كان مكتوبا في اللوح المحفوظ قبل النزول ولا يتلائم أي منهما مع الميزان العلمي فان الثاني متأخر من الوحي والانزال والاول متقدم ولكن الذي اتصف بالوحي والنزول كان صوت يحكي عن ذلك المكتوب ولم يكن نفس الصوت حين نسب النزول أو الايحاء إليه مكتوباً.

وقـد تصـدينا لـرفع هـاتين الشبهتين في بحثنا حول التفسير، ولعلـك بـتأملك تجد لهما حلاً آخر فغص يا اخي الغواص اطال الله بقـائك ونفع بك المسلمين وايد بك الدين وبسط سلطان علمك على القلـوب المتعطشـة والـنفوس الضامئة ارجو الله تعالى ان يجعل منك خـير مسـاعد لي والله ولي التوفـيق هذا وما زلت في انتظار بحوثك الفقهـية لانظـر فـيها حـتى اتمكن من الرد على اسئلة المؤمنين حول شرافة قدرك والله ولي التوفيق.

بشير حسين النجفي
التاريخ ١/محرم/١٤٢٣هـ

القسم الثالث:

رد الإشكالات

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على محمد واله محمد

استغفر الله ربي وأتوبُ إليه

حضـرة سماحـة آية الله العظمى الشيخ البشير النجفي أدام الله تعالى عِزَّه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد وصلنا ردكم الكريم وعمّني السرور إذ حضيتُ باعتنائكم ومنحـتموني وقـتكم الثمين راجياً بذلك لكم كلّ الود والخير والعطاء الدائم.

ولـولا أنكم قد علمّتمونا ان ندافع عن بناة افكارنا لما تجرأتُ عـلى الكتابة إليكم، ولا الخروج عمّا رسمتموه بأناملكم المباركة من خطـوط موضـحة ببـيان عـلمي دقـيق شاهدت ما فيه وتمعنت فيه فكانت هذه الجمل عسى أن تكون مُبيّنَةً لما أجملتُ، كاشفةً لِسترِ ما أخفيـتُ مـن دونِ قَصْـدٍ فَلَـمْ يُفهـم بذاك المعنى الذي أُريد، ودوماً نستفيد منكم.

جـاء في مقدمـتكم المـباركة «والـروايات الـتي تدل على أن إسماعـيل أول مـن تكـلم بالعربية بوحي من الله يقتضي أن لغة آدم

الـتي ابـتدعها الله سبحانه لأول البشر غير العربية وهي من صنع الله سـبحانه فـيما سـعيت إلى إثباته من أن الوضع من الله سبحانه من خصوصيات اللغة العربية هدمته بهذه الروايات التي سعيت إلى جمعها والتي دلت على أن إسماعيل أو أي نبي آخر غير آدم أول من تكلم باللغـة العربـية بتعلـيم مـن الله» فيه أنه لو سلّمنا الأمر على ما أتى بدون توجيه لتمّ ما أشرتم إليه ولكن لو تأمّلنا لرأينا وجهه:

الجهـة الأولى: يؤيد هذه الروايات بعضها بعضاً من أنّ الواضع للّغـة العربية هو الباري عزّ وجلّ، إذ لم يأتِ في لغةٍ من اللغات علي الخصـوص مـن أنّها كذلك كما هو مسطور، هذا من جهة ومن جهة ثانـية يمكـن الجمـع بـين تلـك الروايات بأن آدم هو أوّل من نطق بالعربـية بتعليمٍ من الله سبحانهُ ثمّ أخذ ولد آدم بالإنتشار فصار كلّ قومٍ في بداية الأمر يتكلّمونَ باللغةِ الأمّ ثمّ تفرّعت وتشقّقت ووضعت كـلمات وكلمات على طول الزمن فتغيّرت وتبدّلت فصارت كلّ لغة تخـتلف عـن اللّغـة الأخرى اختلافاً بيّناً بل ربما لا يكون بينهما إلاّ كـلمات مشـتركة قليلة ويكاد الاشتراك يكون معدوماً وهكذا حال البشـر بمـا أودع الله سبحانه من قابليةٍ في داخلهم لوضع اللّغات كما أشـار إليه العلماء السابقون المحققون وأنتم منهم إلى ذلك، ثمّ بعد أن اندرسـت ونُسـيت اللغـة الأصلية بل ربما لم يذكرها ذاكر، تكلّم بها إسماعـيل أو غـيره عـلى مـا جاءت الروايات بذلك فكان أوّل من تكلم بالعربية، ويصدق ذلك بالإضافة كما هو بيّن.

ومـن هنا نرى أن اشكال وجود الكلمات الأعجمية في كتاب الله تعـالى كالإسـتبرق مثلاً مردود، بأنّ هذه الكلمات أصلاً هي من مفـردات اللّغـة العربـية الأولى الـتي بقيت في عالم اللّغات يستعملها أهلُهـا وكأنّها منها، إلى أن مَنّ الله علينا بالعربية ثانيّةً في كتابه المجيد فظهـرت بأثوابها القشيبة في كلامه سبحانهُ وتعالى ودليلنا على ذلك وجودُها فيه وهو القائل: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [1].

وتعليقاً على إشكالاتكم نقول:

أولاً : ـ ص٥٤ هذا الذي ذكرتموه[2] جواباً تحت عنوان (ثانياً) يعـرفه يـا شيخنا أَقلّ الطلبة المحصّلين، لا مَنْ حضر دروس الأعلام مـن علماء الشيعة أمثال آية الله العظمى الشيخ البشير أدام الله خيره سـنين عـدة، واسـتفاد منه؛ وقد ذكرت ذلك بهذه الكيفية المختصرة (المكبوسـة) لاجـل ان المطلب علمي لم اكتبه لاحاد الناس حتى ابين لهـم مـثلاً ان الفـاعل مـرفوع، والتبادر وعدم صحة السلب هما من علائـم الحقـيقة في وضـع الالفاظ والهيئات ولذا ساحلل القضية التي ذكـرت الى ان القـرآن لفظٌ موضوع لما بين الدفتين من كلمات التي هـي اعـمّ مما كُتِب (لاننا لانعرف القرآن ماهي حقيقته) ويتبادر منه

(١) مِنْ (جاء في مقدمتكم المباركة) إلى هنا لم يكن في أصلِ الردّ المُرسَل.

(٢) «ان التبادر وعدم صحة السلب من علائم الحقيقة عند أهل الفن إلاّ أنها في وضع الألفاظ والهيئات وأما نسبة شيء إلى فاعل ما فهي راجعة إلى الذي يقوم بانشاء هذه النسبة الاضافية وغيرها».

ذلـك، والتبادر علامة الحقيقة، كما ان عدم السلب علامتها، كذلك لا يَصح سلب هذا اللفظ من ذلك المعنى ابداً.

كمـا ان (كـلام) لفظ ظاهر فيها وضع لـه وكذلك لفظ الجلالة (الله)، فَعلـيه إذا اوجدنا التركيب وجعلنا نسبة بين القرآن وكلام الله، ولا يحـوي الكتاب الكريم إلا الكلام العربي، فإذاً هو كلام الله تعالى وتصـح هذه النسبة بذلك على نحو الحقيقة لا المجاز، لانه الظاهر من ذلـك كلـه وقـد طويـت ذلك كله اعتماداً على فطنة القارئ لاني لم اكتب لعامّة الناس، وبهذا يظهر الجواب عن (ثالثاً).

ثانـياً : ـ ص٥٦ قولكم بل يعني (ان المخاطب لايتمكن من استيعاب معاني كلامه تعالى إلا اذا كان الخطاب بلغة ما).

وهـذا تام في الجملة لما سنشير اليه بعد قليل، ولذا ذكر القرآن الكـريم ﴿**وَمَـا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ...**﴾[1] إذ على هذا الأمر يخرج عن دائرة الكلام فالله سبحانه غير محتاج للكلام حتى في ذلـك مطلقاً، إذ كفى بالايحاء مصدراً لاستيعاب المرسل للمعاني التي يريدها الباري عز وجل فلا حاجة لاي لغة اصلاً...

قولكم بعد ذلك في نفس الصفحة (أو لأجل التحدي والإعجاز).

وهـل يـتحدى الباري مخلوقاته بما خلقوه هم، أم يتحداهم بما خلقـه هـو[2]؟! و أقـربُ المطلب أكثر (وان كانت الأمثلة تقرب من

(١) سورة إبراهيم آية ٤.

(٢) ونضـيف هـنا كذلـك إذا كان الشيء من صنع البشر فهل يملك البشر سعة بحيث ➤

جانب وتبعد من آخر).... السحرُ في زمن فرعون كان على أوج عظمته، فهل ما جاء به موسى سحر مثله؟! لا يمكن ان يكون ذلك ابداً. وبما انّ للسحر مصدراً مخلوقاً في الجملة لاننا لا نعلم من اين كان منشأ السحر بالضبط، لذا لا يصح ان يُقال بأنّ ما جاء به موسى سحرٌ بل هو معجزة، فالعصا من خلق الله تعالى المباشر وهي التي تحولت إلى افعى والافعى من خلقه كذلك، وهنا اللغة العربية لو كانت من صنع البشر، لا يمكن ان يتحدّى الباري بما صنع البشرُ البشرَ لِقدم احتياجه لذلك اصلاً، بل هو الذي يخلق ما يشبه هذا الذي صنعه البشر مثلاً إذا صح التعبير ـ فيتحداهم به ليكون معجزاً.. وكان حديثي ومداره حول المعجزة عند هذه النقطة بالذات، وليس حول المقدمات القريبة أو البعيدة عن المعجزة، من قطع العصى من الشجرة إلى تهذيبها مثلاً إلى حملها فالقائها، لان ذلك لم يكن من المعجزة بأي حال من الأحوال، وان توقفت عليه المعجزة من الزوايا هذه على ذلك بل وتوقفت على إنكار المنكر أو هداية الضال ولكن ليس هذا هو مقصودي جزماً، ولو دققتم بكلامي أكثر لظهر الحال وما عنيت به من التوقف ولم يكن من حاجة حتّى تتعبوا نفسكم الشريفة لتذكروا لي كل ما ذكرتموه، لان نفس المعجزة كما هو

يستوعب اللا محدود، اللا متناهي، إذ ما وضعه سيكون جزماً بحدود لا يمكن ان يخرج منها ابداً، فليس ثمّة تحد واعجاز حينئذٍ لأن اللّغة نفسها إذا كانت من ناقصٍ، فلا يمكن ظهور الاعجاز منها أصلاً.

واضح بأدنى تأمل من الله تعالى وهذا ما أردته بكلامي.

ثالثاً : ـ وبهذا يظهر الجواب عن كل ما جاء في ص٥٩ والصفحات التالية.

فالنار بما هي نار لم تكن معجزة ولم اقل ذلك أصلاً، بل الذي قلت ان الله هو المنشئ لها فراجعوا قولي بعد آية إبراهيم عليه وعلى نبينا وآله السلام، والنار كما هو معلوم من خلق الله ثم استشهدت بالآيات المباركة على ذلك؛ وكذلك عندما ذكرت العصا فالعصا تعود إلى الزرع، والله هو الزارع، مستشهداً بما ذُكر من آيات مباركة حتى ابين ان مادة المعجزة التي هي العصى من خلق الله تعالى المباشر وهكذا بقية الاشياء والامور التي تمّ الإستشهاد بها.

ولو نظرتم فيما ذكرت لكم، وارجعتم النظر لما كتبتَ أولاً لظهر ما اردت واضحاً جليا ولكن تبلبل الحال وربما سوء تعبيري في أكثر الاحيان قد أربك الصورة لديكم، فما ذكرتموه وتذكروه واتعبتم انفسكم الشريفة به من ان هذا وذاك لا ارتباط لهما بالمعجزة أصلاً، هو عين الصواب، ولكن ما أردت هذا أصلاً يا شيخنا وأستاذنا الجليل فهذا اصغر الطلبة يلتفت إليه، بل الذي أردت ان اذكره بخدمتكم ان كل ما ذكرت من صنع الله تعالى، وهو الذي تكون المعجزة عليه قائمة فالعصا من الشجرة، والشجر من صنع الله تعالى، والنار كذلك وبرودتها كانت فيها، وهكذا.... ولم ادع بان مطلق الشجر، والنار، والافاق وآياتها من المعاجز بأنفسها. وذكرت ذلك

كلّـه بالآيـات الكـريمة لكي تطمئن نفس القارئ بهذا كله خوفاً من شبهة ان من يحقق مقدماتها القريبة يكون خالقاً لها وموجداً.

وأمّا ما ذكرتم من نهاية ص٦٢ وحتى ما يقارب ص٦٤ (وقد يكـون المعجـز من البشر بمعنى... الخ.) فجوابُهُ ظهر مما تقدم لان كل ذلـك مـن إنشـاء الله تعـالى المباشر وتدبيره فعيسى، وجبرائيل من خلقـه المباشـر، ولم تـتوقف المعجزة على صنع مخلوق أصلاً، وليس كلامنا فيمن ظهرت على يديه المعجزة هل هو الله تعالى أم عيسى؟.. ومن المباشر ؟! فكلها مردها إلى الله تعالى كما ضربتم لنا مثال الموت وهو من أوضح الأمثلة على ذلك.

رابعـاً: ـ ص٦٥ حـول وجـود اللغة العربية قبل نزول القرآن الكريم.

يـا شـيخنا الكـريم صحيح أنها موجودة ولذا ذكرت كل تلك الروايات والشواهد على وجودها وهذا لا يتناطح فيه قرنان، ولكن الـذي نـرتأيه من مجموع ما لدينا من أخبار، وما ذكرتموه من الجزم بوجودهـا قبل إسماعيل، أنها كانت موجودة؛ والله تعالى بما أودع في البشر من قابلية خاصة، وضع ألفاظاً وألفاظاً لمعان كثيرة وقد يكون التفـت إلـيها أمـا لحاجـة لها أو لأي أمر آخر وذلك لعدم استيعابه لـبعض ألفـاظ هـذه اللغـة أو لنسيانه لها أو لجهله بها ولما لذلك من أسـباب كـثيرة أو للتفـنن فنراه انه قد وضع ووضع فاختلطت هذه الألفاظ بتلك ولم تكن هذه ألفاظ الأولى معجزة بحد ذاتها أصلاً حتى

لا يسـتطيع الإنسـان ان يضع مثلها لكثير من المعان، فاختلطت بعد كـثرتها بـتلك اخـتلاطاً صـعب تفريقهما، واصبح بذلك للعرب عدة لغـات فهـذه لغـة حمـير، وتلك لغة قريش... الخ. اذ توسعت بشكل مهول؛ فتفننُ العربِ بلغتهم مما لا ينكره احد.

إلا ان اللمسـات الإلهـية بقيـت علـيها موجودة إلى ان جاء القـرآن الكريم فحفظها من الضياع فالذي ندّعيه أخيراً ان كل ألفاظ القرآن الكريم موضوعة من قبل الباري عز وجل وما عداها يمكن ان تكـون من وضع العرب أنفسهم؛ الله أدرى بحقائق الأمور، وهو العالم والله المسدد نعم المولى ونعم النصير وأرجو المعذرة..

خامسـاً : ـ ثم قولكـم ص٥٦ (أو لبـيان شـرافة تلـك اللغة) فـلماذا كانـت هذه اللغة شريفة؟ هل شرافتها جاءت قبل النزول أم بعـده؟! ولمـاذا؟! فاذا كانت قبله.. فما الذي شرفها؟! التكلم الأنبياء السـابقين بها؟ وهذا لم يثبت برواية صحيحة بل ان كثيراً من الانبياء تكلّمـوا بلغـات أخـر إذ كـل نبي يأتي بلسان قومه. أم بترجيح بلا مـرجح؟! وحاشاه ان يفعل ذلك. وأما اذا كانت بعد النزول فهو كما ترى.

ومـع الأسف لم تصل إليّ بقية ردودكم الموضحة لطريق الحق وقد وصلت الأوراق منكم إليّ حتى ص٦٥.

فـأرجو إرسال البقية لي والجواب عن هذه، ولكم مني جزيل

الشـكر والتبجيل والاحترام. كما اعتذر منكم عن التأخر وذلك لان جهـازي لا يقـرأ العـربي ودمتم للمخلص لكم والمسؤول الفنّي كان مشغولاً هذه الأيام فاستميحكم عذراً.

والسلام

١٠/صفرالآخر/١٤٢٣ هـ

محمد حسين الأنصاري

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلّ على محمد وآل محمد

حضـرة جـناب سماحـة آية الله العظمى الشيخ البشير النجفي المحترم أدام الله تعالى أيام سعوده.

السلام عليكم أستاذنا العزيز ورحمة الله وبركاته

مقدّمـاً أقول اعذروني عن كل سوء تعبير في رسائلي السابقة واللاحقـة وهـذه، ولكنكم علمتمونا ان ندافع عما نرى حتى تسقط آخـر حصـوننا أو ان يثبت ما ندّعيه وهكذا يكون شأن التلاميذ مع أساتذتهم حتى يروا الحق ناصعاً لكل عين.

كنـت قـد كتبـت لكم ما عنّ لي عند قراءتي أجوبتكم العالية المضـمون الـتي تشـرفت بهـا سابقاً، منتظراً جوابكم الشافي، وها أنا اكتـب لكـم أجوبتي عمّا حررتموه بأناملكم الطيبة المباركة، عسى ان تـرونا الطـريق الأصح في هذا الخضم من الأفكار راجين منكم سعة الصّدر وانتم أهله. قولكم ص٦٦ (ويلاحظ على ما قلت : ـ

أولاً تشـبيه وحـيه سبحانه... لا يعني ثبوت كل ما للمشبه... واستشهدتم بالآيتين المباركتين.....)

أنـا لم أدّعِ الـنصّ في ذلـك، ولم اقل انه يثبت كل ما للمشبه

للمشبه به، إذ الكل يعلم انّ طريقة الوحي على اقل تقدير تختلف من واحد لآخر بل ربما في الواحد أيضاً تختلف في أحيان أخر.... لذا جعلت كلامي يُسْتَشْعَر منه ذلك عند قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ...**﴾ وهو ظاهر الاشتراك في نفس الوحي إلاّ ان طريقته وكيفيته وواسطته ليست بمعلومة، وعندما لم يتم ما أردناهُ بالضبط منها أشرنا وقلنا وسيأتي مزيد بيان، وهو ممّا ساعد إلى الميل بان الكيفية واحدة بظهور الآيات المباركة ﴿**حم * عسق * كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾.

وبالروايات الواردة ان تبليغ الأنبياء يتم باللغة العربية ثم يبلِّغون الناس بلغاتهم ، من هنا رجحَّنا هذا الظهور على بقية الظهورات.

قولكم ص٦٧ كذلك (ثانياً: انك مازلت تخلط بين كون القرآن.. وبين كون الله سبحانه واضعاً اللغة) وقد ظهر جوابه فيما كتبتُ سابقاً وأرسلته بخدمتكم ، والفتُ نظركم الشريف انكم لم تشيروا إلى ما سقناه من ظهور قد يتمُّ به الدليل وهو قوله تعالى ﴿**حم * عسق * كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ وان كان جوابكم سيكون لي انك لازلت تخلط بين التكلم وبين إنشاء اللغة وتكوينها فأجيبكم هنا وفي المواطن كلها التي ذكرتم فيها هذا الجواب لو ثبت ان الوحي لأنبياء الله تعالى كان

باللغة العربية، ثبت ان المنشأ لها الله تعالى، وذلك لأنَّ الأنبياء والرسل كما هو معلوم وجدوا قبل ان يوجَد العرب بل لوصحّ هذا فهذا ثابت لآدم ولابنه النبي وهو يثبت من انّ الله تعالى منشأ لها، مع عضد ما ذكرناه بالروايات تأييداً من انّ أول من تكلم باللغة العربية هو آدم أبو البشر.

وأمّا قولكم حفظكم الله تعالى وأيدكم ص٦٧ كذلك (وأما دليلك السادس...) ثمّ ذكرتم (والأَولى لك الاستشهاد بقوله تعالى ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ فهو كما قلتم لو ذكرناها لكانت انسب بالمقام وأتمّ، ولكن غفلة مني وتوجيهُ منكم حتىّ اشعر باحتياجي للعلماء دائماً والموجهين أمثالكم حفظكم الله تعالى ورعاكم.

قولكم في الصفحة نفسها (ويرد عليه انّ كون محمد بن عبد الله ﷺ مبعوثاً إلى الكلّ لا يقتضي ان تكون اللغة العربية لغة الكلّ كما هو معلوم بالوجدان الخ.) ثم قلتم.

(هل ان الذين في استراليا يتقنون اللغة العربية ؟!...)

فهو من عجيب قولكم وغريبه، فالأمر كما قلتم وتقولون بلا ريب ولاشك، ولكن أرجو منكم يا أستاذي الجليل انّ تلاحظوا ما أقول مّرةً أخرى.

(ومن هنا لعله جاءت بعض الروايات عنهم عليهم السلام تسمى المؤمنين بالعرب.)

((فأصبحت وكأنها لغة الكون..))

((فـإذاً هـي لغـة خاصـة متناسـقة مع الكون كلّه، وهذا من عجائب الأمر..))

ثمّ يـا أسـتاذنا الجلـيل لـو قلت ان الإسلام هو دين الكون، والمؤمـنون لابـدّ وان يكونوا مسلمين ، والإسلام متناسق مع الكون كلـه تشـكلون عـلي بـان هـناك في اسـتراليا عـندنا مـن لا يؤمن بالإسلام؟!! فعليه لا يرد ما قلتم ، لأني لم أدّعِ بان كل الناس في كل بقعـة وفي كـل زمـن يتكـلمون اللغـة العربية... واذا كان هذا ظاهر كلامي فهو اشتباه لم اقصدهُ أصلاً.....

قولكم ص٧٠ (فيه أولاً : ـ انه كان الأوفق.... فإنّ هذا أوفق بمذهب الحق من الطبراني وتصحيحه..)

فهـو كمـا تقولـون، ولكن مع الأسف لم يكن بين يدىّ كتاب علـل الشـرائع وقـت كتابة البحث، ولم تخطر ببالي في تلك الساعات هـذه الرواية حتى ابحث عنها ، وان كان هناك شيء في ذهني منها في الجملـة لكـنّه لم يكـن واضـحاً عندي، ووقع بين يدي تلك الرواية فناقشـتها لكي تؤيد مطلبي هذا أولاً وثانياً لان المطلب كما تعلمون قـد يقـرأه الآخـرون فتكون دليلاً قوياً عندهم فأرجو العذر من الله سـبحانه وتعـالى، ومـن رسوله الكريم، وآله الأطهار عليهم صلوات الملـك الجـبار ومـنكم بالخصوص ومن بقية المتمسكين بمذهب أهل البيت عليهم السلام من العلماء والآخرين بالعموم ، والله العاصم.

قولكم حفظكم الله تعالى في ص٧٠ (ثانياً.. وثالثاً..)

نكـرر السـؤال مَا الذي شرفّ اللغة العربية ؟! وأعلا قدرها؟! وأجل شأنها؟!

ان كانـتْ مـن تولـيد البشـر فحالهـا حال البقية، كما اسلفنا وذكرنا ذلك لكم فيما سبق.

وأما (ثالثاً) فقد ظهر ما فيه فيما سبق.

قولكـم ص٧١: (وأمـا دليلك السابع مستشهداً بقوله سبحانه: ((في صحفٍ مكرمّة.....)) .... إنما يدل على ان القرآن باللغة العربية، والصحف كتبت باللغة العربية..... الخ).

نسـأل ونكـرر لمـاذا اخـتارها الباري عزّ وجلّ دون اللغات البقية لكتابة وحيّه؟!

ومـا هـو الدلـيل في قولكم (بعدما كانت هذه الصحف، وهذه الكتـب ، وهذه الكلمات الإلهية كلها مخلوقة مسبوقة بالعدم..) وهل إذا كانـت مـنه سـبحانه لا تكـون كذلك ؟! فها هو الكون منه وهو مسبوق بالعدم، وها هو قد كلم موسى على نبينا وآله وعليه السلام) وكلامـه كـان مسـبوقاً بـالعدم... إنـا لم افهمْ ما قصدتم بهذه العبارة بالذات.

والله سبحانهُ وتعالى حاله ليس حال الصالحين او الطالحين في التكـلم، وان حسـبتم انّ هـذهِ شـبهة قد علقت في ذهني فأرجو ان تـرفعوها لي، وكل ما ذكرتم من شواهد أجنبي عمّا نقول ، فقد كتبت

جـوابي لكـم حولـه منـتظراً جوابكم الثاني أدام الله تعالى بركاتكم وخيركم.

قولكـم: ((وأمّـا دلـيلكم الثامن... ثمّ تقولون يلاحظ عليه انّه سـبحانه يقـول ((ووجـدوا مـا عملوا حاضراً)) يعني نفس الأعمال تظهـر للـناس... والروايات الدالة على تجسيد الأعمال كثيرة تشهد بـه، وتأويـلها بأجر الأعمال، ونتائجه بما انها معلول لعملهم لا يغيرّ مما نحن بصدده شيئاً كما لا يخفى...))

أولاً: اربـأ بجنابكم العالي الشريف ان تقولوا بتجسيد الاعمال وان كان هو قول ثلّة من علماء مذهب الحق.

كمـا هـو ظاهـر كـثير من الروايات، إذ انتم أهل فن في لغة القـرآن، وأهـل ذوق رفـيع في هـذه اللّغة الشريفة، إذ لو حملنا تلك الـروايات عـلى ظاهـرها فسـتموت بذلـك كثير من أنوار البلاغة، ونسائم الفصاحة بساحةٍ لابدّ ان تكون مُشَبّعةً بذلك النسيم العليل، إذ أنهـا صـادرة من أهلِ الفصاحة والبلاغة ، ولا اقصد بهذا توهيناً لاحد لا سمح الله تعالى ابداً ، بل هو ما أميل إليه شخصياً اذ أرى ان تلك النظرة تشوّه كثيراً الأسلوب العربي المبين...

وأمـا قولكم ص٧٢ (وتأويلها بأجر الأعمال ونتائجه بما أنها معلول لعملهم، لا يغيرّ ممّا نحن بصدده شيئاً كما لا يخفى..)

فهـو يخفـى عـلى أمـثالي، فاجر الأعمال ونتائجه غير نفس الأعمال بلا ريب ولا شك، وَالأخير من صنع الإنسان نفسه، والأوّل

مـن صنع الباري وخلقه، وان كان الباري لم يخلقه إلاّ لأجله، فانظر مـاذا تـرى؟! وبـناءاً عـلى هذا حتى لوصح تجسيد الأعمال نصحح مطلبنا بهذا، وان كان الأمر مستبعداً.

قولكـم ص٧٣ (يلاحـظ انـك ما زلت تخلط بين وضع اللغة) فـنقول في الجواب: كلامكم هذا الأخير لا ربط لـه فيما قلتُ، وكأنّ تفكيركـم فـيما مـر مـن كلام لي حول هذه النقطة بالذات التي انتم تشـيرون إليها دائماً في اغلب الأدلة جعلكم تذكرونه هنا أيضاً، من دون ان تـنظروا إلى أني أنظـر لجهـة أخـرى هنا متمثلة بقولي (ولو كانـت الكلمات من صنع الإنسان ووضعه لما كان هذا التعليم للقران على إطلاقه..)) وأنا منتظر جوابكم حول هذهِ النقطة بالذات ان كان ثمّة جواب لها.

قولكم ص٧٤ (قد تلخص ممّا تقدّم انّه لم يتم دليل...)

قد تبين وضعه ممّا علّقتُ على أجوبتكم العظيمة والمفيدة حول هـذا الموضوع، إذ بقيَ كثيرٌ منها على حالهِ، بالإضافةِ إلى سَردِ أدلّةٍ آخر في أثناء الردّ لذا سأكون ممتناً لكم لو تفضلتم وأكملتم أجوبتكم البناءة أدام الله خيركم وبركتكم.

قولكـم ص٧٤: (ثمّ انـه قـد جـاء في توحيد المفضّل بن عمر تلميذ الإمام الصادق عليه السلام الذّي أملاهُ الإمام عليه السلام ما نصّه: .....).

ثم قلتم (ومن الواضح انّ المعصوم عليه السلام قد طرح ظن مَن ربما يظـنّ مـن ان اللغـة والكـتابة يمكـن ان يخلـص إليها البشر بالحيلة

والفطنة، وليس ممّا وهبها الله سبحانه.....).

ثم قلتم حفظكم الله تعالى (وكيف ما كان ان الرواية بظاهرها تقضي إقرار الإمام عليه السلام اعتقاد انّ اللغات والكتابة بأصنافها يتوصل إليها الإنسان بفطنته، وطبعه اللذين هما من هبة الله سبحانه، ولم يُفرّق بين اللغة العربية وغيرها.)

أقول في الجواب بعد الإتكال على الله تعالى انّه لو دقّقنا في كلامه عليه افضل السلام فسنرى انّ هذا ما استفدناهُ منهم عليهم السلام ، وهدوا عقولنا إليه، ولذا نقول ونجزم من ان وضع أي لغة من صنع الإنسان بما آتاه الله تعالى من قابلية، وهذا كلّه لا يمنع من أنّ الله سبحانه قد وضع لغة بحيال تلك اللغات، علّمها أولياءه، وبنفس هذه القابليات والادراكات التي فيه، وببركة تسليمه لله وتوفيقات الله تعالى له بذلك لذلك، وإلا لانقطعت، ولم يكن لها معنىً أصلاً و لا وجود. ونتمّ الكلام فنقول: ـ

لقد فصّل الإمام عليه السلام في هذه الرواية وفرّق بين ثلاثة أمور:ـ

الأمر الأول: المنطق الّذي يعبّر عمّا في ضميره، وما يخطر بقلبه، وينتجه فكره، وبه يفهم عن غيره ما في نفسه...

الأمر الثاني: الكتابة...

الأمر الثالث: الكلام إنما هو شيءٌ يصطلح عليه فيجري بينهما، ولهذا صار يختلف في الأمم المختلفة.

فهنا أمورٌ ثلاثة، ولا أظنّ أنكم تقولون من انّ الأمر الّذي هو المنطق من صنع البشر، وحاشاكم من ذلك.

فهذا الأمر الأول قد خرج... الّذي يعتمد عليه الكلام اعتماداً كلياً، بل هو منبعه.

وأما الأمر الثاني الّذي هو الكتابة: ـ فهو من اختراع الإنسان مطلقاً، وحتى الكتابة العربية فما هي إلا رموز تدل على الأصوات والمعاني، ومن هنا نرى ان الآية القرآنية لو كتبت بنفسها لا بمعناها على اللفظ العربي بحروف غير عربية، بل لو كتبت حتى برسوم أو إشارات كانت مبهمة وكان المقصود منها اللفظ العربي لقلنا بعدم جواز مَسِّها لغير المتطهر، وأحبُّ ان استرشد برأيكم الشريف في ذلك يا أستاذنا الجليل.

ولعلّه لذا ذكر الامام عليه السلام ((وكذلك الكتابة العربية والسرياني والرومي وغيرها من سائر الكتابة التي هي متفرقة في الأمم إنما اصطلحوا عليها كما اصطلحوا على الكلام فيقال لمن ادعى ذلك ان الإنسان وان كان له في الأمرين جميعاً فعل أو حيلة، فإنّ الشيء الذي يبلغ به ذلك الفعل او الحيلة عطية وهبة من الله عز وجل له في خلقه.

فانه لو لم يكن له لسان مهيئاً للكلام وذهن يهتدي به للأمور لم يكن ليتكلم أبداً ، ولو لم يكن له كف مهيأة وأصابع للكتابة لم يكن ليكتب أبداً، واعتبر ذلك في البهائم التي لا كلام لها ولا كتابة،

فأصل ذلك فطرة الباري عز وجل وما تفضل به على خلقه فمن شكر أثيب، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين)) فقوله عليه السلام (وكذلك الكتابة العربية والسرياني والعبري والرومي وغيرها من ساير الكتابة إنما اصطلحوا عليها...)

فهو منصب على الأمر الثاني الذي هو الكتابة ، نعم التشبيه ربما يفيد بقوله عليه السلام: (إنما اصطلحوا عليها كما اصطلحوا على الكلام).

وهو كلام تام ولا يخدش بالقول الذي ملنا إليه أصلاً وذلك لأنه وكما ذكرتم ان التشبيه لايعني مطابقة المشبه للمشبه به في كل شيء، فهنا فقط شبه الإمام عليه السلام اصطلاح هذا باصطلاح ذلك، أما سعته وضيقه فمسكوت عنه. هذا أولاً وثانياً ألايشعر قولُ الامام عليه السلام (وكذلك الكتابة العربية) ووصف الكتابة بالعربية ولم يصف اللغة أصلاً وتأكيده قوله عليه السلام في نهاية هذه الجملة، (وغيرها من ساير الكتابة) فإذاً كلام الإمام عليه السلام كان حول الكتابة، نعم قد يستفاد ما يوهن ما ذهبتُ إليه قوله عليه السلام (إنما اصطلحوا عليها كما اصطلحوا على الكتابة)، إلا ان الإمام عليه السلام لم يذكر ان كلَّ كلام هو مصطلح عليه، بل أشار إلى ان الكتابة مصطلح عليها عندهم كما اصطُلح ما وضعوا من كلام، فهو من جهة اصطلاح الكلام بمعنى آخر مهمل ولا يشمل أو يعم كلّ كلام؛ فإذا جاء الدليل بأن بعض الكلام هو من وضع الباري عز وجل واستقام فلا تعارضَ حينئذٍ ولا

تشويش.

قوله عليه السلام (فيقال لمن أدّعى ذلك ان الإنسان ، وان كان له في الأمرين جميعاً فعل أو حيلة ، فأنّ الشيء الذي يبلغ به ذلك الفعل والحيلة عطية وهبة من الله عز وجل له في خلقه...)

لا يمكن ان يكون دليلاً على خلاف ما ندعي أبداً كما هو الظاهر إذ هو ردٌ على من قال من ان الكتابة واللغة من صنع البشر، ولا دخل للباري فيها أصلاً (ولعلك تظن أنها مما يخلص إليه بالحيلة والفطنة وليست مما أعطيه الإنسان من خلقه وطباعه.) على حد تعبيره عليه السلام، فرداً على هذا ذكر ذلك وهو خارج عن نقطة البحث كما هو بينٌ وظاهر.

ونرجع ونقول حتى لو وجهنا كلام الإمام عليه السلام ففيه قابلية الظهور على المطلب الكلي، وفيه وضوح على وضع اللغات والكتابات، إلا ان ذلك لا يفيد الكلية بالتفصيل أصلاً، وحتى لو قلنا ان المنطق المذكور أولاً في كلام الإمام عليه السلام يراد به نفس الكلام، اذ لاضيَر حيث يقول عليه السلام (فأصل ذلك فطرة الباري عز وجلّ، وما تفضل به على خلقه فمن شكر أثيب، ومن كفر فان الله غني عن العالمين.).

وهذا مما لا ينكر أصلاً، فاللغات من توليد الإنسان بما أودع فيه من صفات، والكتابة كذلك بما أودع فيه من قدرات وقابليات، والعربية عندما ذكرت لم تذكر كلغة في كلام الإمام عليه السلام بل ذكر الإمام عليه السلام الكتابة العربية ، والكتابة غير نفس اللغة كما هو بينٌ

وواضح، كما إنّا لم ندع بأن لغات العرب كلها من وضع الله تعالى بل قلنا ان لغة القرآن بالخصوص من وضعه سبحانه والتي كانت أقربُ اللّغاتِ العربيّة إليها لغة قريش، والتي علّمها الله تعالى لاحدٍ من عباده الصالحين، ولعلها درست في فترات متباعدة ، فجدّد تعليمها لأوليـاءه المخلصين كذلك، وبما أودع الله سبحانه الإنسان العربي من قابليات كما أعطى غيره ذلك فوضع لغات ولغات فكثرت مفردات وألفاظ اللّغة العربية الأم واختلطت باللغات العربية الأخر، حتى جاء القرآن الكريم فعزّز موقفها وفرزها عن الباقيات وهذا يؤيده انه كانت للعرب لغات عدة كلغة قريش ولغة حمير... الخ.

فظهر ما في قولكم (لم يفرق بين اللغة العربية وغيرها)

ولا أرى أي تعارض بين كل ما ذكره الإمام المعصوم عليه السلام وبين ما ملنا إليه أصلاً، بل ربما كما رأيتم استشفينا منه ما يؤيد قولنا، والله المسدد والعاصم من الزلل وهو ولي التوفيق ، ومنكم نستفيد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأما عن بقية رسالتكم الكريمة وقد لاحظت تلك الشبه كما أنها مما أتذكره منكم في أحاديثنا اليومية التي كانت تجري ونحن جالسون أو سائرون بخدمتكم، ولم تذكروا الجواب عنها أصلاً، إلاّ انكم طلبتم منا التدبّر التفكر فيها يومها، ومع الأسف ما جلت فكراً بها أصلاً لاشتغالي في الدروس ساعتها، وسألقي عليها نظرات ونظرات والله المسدد والهادي.

وأمّا عن بحوثي الفقهية فسأرسل لكم ما استطيعه وهو موجود بين يدي بالفاكس ان شاء الله تعالى في اقرب فرصة ممكنة وأرجو المعذرة دائماً عن كل هفوة وزلّة و راجين دعائكم وإشراكنا في زيارتكم للائمة الأطهار عليهم السلام جميعاً ولأولياء الله الصالحين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى كل من يسأل عنا. . . . . ودمتم لأخيكم المخلص.

محمد حسين الأنصاري

٦/ر١/١٤٢٣ هـ

فهرس المحتويات

تقديم سماحة البحاثة الإسلامي العلاّمة الحجّة الحاج السيد علي الشهرستاني ٥.

المقدمة ١٣

القسم الأول:

الرسالة ١٧

مَن الواضع للّغة؟ ٢٦

القسم الثاني:

إشكالات آية الله العظمى الشيخ بشير النجفي على الرسالة ٤٣

الإشكال الأول: ٥٣

الإشكال الثاني ٥٥

الإشكال الثالث ٥٧

الإشكال الرابع ٥٨

الإشكال الخامس ٦٤

الإشكال السادس .....

١٠٤ ..... العربية وواضعها

الإشكال السابع ٦٧

الإشكال الثامن ٧١

الإشكال التاسع ٧١

الإشكال العاشر ٧٣

تعقيبات على تلك الإشكالات ٧٤

القسم الثالث:

رد الإشكالات ٧٩